بين مادية الغرب وعقلانية الشرق عند رينيه جينو

د. أسماء عبد المحسن ضاحي جاد

مدرس الفلسفة المعاصرة

قسم الفلسفة– كلية الآداب– جامعة اسيوط

الملخص العربي:

يتناول هذا البحث شرح وتحليل لموقف جينو من الحضارة الغربية الحديثة ومدى معارضتها للتراث؛ وليس معنى ذلك أنه يرفض جميع أنماط الحياة الجديدة ويحصر نفسه في الماضي، وما فيه من تخلف واخطاء، فهو يدعو إلى ضرورة إصلاح الغرب؛ وهذا الإصلاح متى حدث كما يجب أن يكون– أي إذا تمكن الغرب من إستعادة تقاليده الحقيقية– فستكون النتيجة الطبيعية تقاربًا مع الشرق. ويؤكد جينو من خلال هذا البحث أن الشرقيين مُحِقُّون تماما في آخذهم على الحضارة الغربية بأنها ليست سوى حضارة كمية أو بمعنى آخر حضارة مادية، وفي ضوء ذلك أشار جينو إلى أن الناس في الغرب لا يعرفون الشرقيين الحقيقيين، وهو يطرح تساؤلًا مفاده: إنه إذا كان الأمر قد انتهى بالجمهور الشرقي ان أصبح معاديًا للغربيين، بعد ان كان ينظر إليهم بلا أكتراث، فمن المسئول عن ذلك، هل هي تلك النخبة، أم الغربيون أنفسهم؟ وهنا يؤكد جينو دور النخبة في الشرق في تحقيق ذلك، في حين انها لم تعد موجودة في الغرب.

الكلمات المفتاحية: جينو– الغرب– الشرق– حضارة مادية– التراث.

(ISSN: 2536 - 9555)

Between the Materialism of the West and the Rationality of the East according to René Guénon

Dr.Asmaa Abdelmohsen Dahy Gad
Lecturer of Contemporary philosophy
Deparment of philosophy, faculty of Art, Assiut University

Abstract:

This research deals with an explanation and analysis of René Guénon position on modern Western civilization and the extent of its opposition to tradition, This does not mean that he rejects all new patterns of life and confines himself to the past, and what it contains of backwardness and errors, So Guénon calls for the need to reform the West, And this reform when it happened as it should be- That is, if the West can restore its true traditions– The natural result will be a rapprochement with the East, Guénon confirms, through this research, that the Orientals are absolutely right in taking the Western civilization as being nothing but a quantitative civilization, or in other words, a material civilization. In light of this, Guénon pointed out that people in the West do not know the true Orientals. He raises the question: If the oriental audience ends up becoming anti-Western, after he was looking at them indifferently, who is responsible for this, is it that elite, or the Westerners themselves? Guénon emphasizes the role of the elite in the East, while it no longer exists in the West.

Key words: Guénon- West- East- Material civilization- Tradition.

مقدمة

اختلف الفلاسفة فيما بينهم ما بين الحداثة والتراث؛ فاختار جينو التراث ودحض الحداثة، وليس معنى ذلك أنه يرفض جميع أنماط الحياة الجديدة ويحصر نفسه في الماضي، وما فيه من تخلف وأخطاء، فهو يحاول الوصول إلى الحكمة الخالدة والعلم المقدس من خلال دعوته إلى ضرورة العودة إلى التراث والتمسك بالمدرسة التراثية، وقد تمثلت دعوته في نقده الحضارة الغربية المعاصرة وما تحويه من دمار للأخلاق والفضيلة والإنسانية والبيئة لاعتمادها على المادة؛ ولأن قانون المادة هو التغيير، ولأن الغرب يستمتع بالتغيير حبًا في التغيير، فقد تنبأ جينو باحتمالية انهياره.

ولذا يدعو جينو الغرب إلى ضرورة دراسة مذاهب الشرق دراسة عميقة ودقيقة، فكان يرى أن نهضة الغرب لن تتم إلا من خلال الاتصال بالتراث الشرقي، وهو يحاول إقناع الغرب بضرورة العودة إلى هذه الحضارة التقليدية، ويرى أن العصور الوسطى في الغرب تقدم مثالًا واضحًا على هذه الحضارة التراثية ويطالب الغرب بضرورة العودة إلى تقاليده الأصيلة حتى يصل إلى التفاهم بين الغرب والشرق، لذلك ناهض بشدة الأفكار المناهضة للتراثية.

وتدور معظم مؤلفات جينو حول فكرة التراث ورفض المادة، وفي ضوء ذلك كان يرى أن الغرب ضل طريقه عندما ابتعد عن التراث وانشغل بدراسة الماديات والثروة وابتعد عن الدين، ولم يهتم بنوعية المعارف المتراكمة لديه، وإنما اهتم بكميتها، مما ساعد على تشتيته ونسبيته.

وكان يرى أن من أهم السمات المميزة للفكر الحديث هو الغياب الكامل للمعرفة الميتافيزيقية وإنكار كل معرفة ليست علمية. ويؤكد جينو أنه لا يهاجم الغرب في حد ذاته؛ ولكنه يهاجم نظرته الحديثة التي يرى فيها سبب الخراب الفكري للغرب.

ويجاري جينو الشرقيين في أخذهم على الحضارة الغربية بإنها ليست سوى حضارة مادية تمامًا، ويرى أن الغربيون يدخلون الخيال في المجالات التي لا

(ISSN: 2536 - 9555)

يكون للخيال دور فيها، ويشير جينو إلى أن المحدثين عامة، لا يتصورون أي علم سوى العلم بالأشياء التي تقاس والتي تعد وتؤذن أي الأشياء المادية؛ لأنها الشيء الوحيد الذي يمثل النظرة الكمية، وكان يرى ان المطالبة بإرجاع الكيف إلى الكم هي من أهم المميزات القوية للعلم الحديث.

أولًا: **نبذة عن حياته**:

ولد رينيه جينو في بلويز بفرنسا عام ١٨٨٦م، وقد نشأ في بيئة كاثوليكية صارمة وكان يدرس في المدرسة الياسوعية. وفي شبابه سافر إلى باريس لدراسة الرياضيات وظل ينشر المقالات والأطروحات الرياضية حتى قبل وفاته، ولكنه انتقل إلى الدراسات الأكاديمية، وأصبح عضًوا بارزًا في كثير من الجمعيات الثيوصوفية والروحية والماسونية والمعرفية وظل طيلة حياته معارضًا بشدة للحضارة الأدبية المعاصرة(١).

كان خبيرًا لغويًّا محيطًا بكثير من اللغات كاللغة السنسكريتية، والهندوسية، واليونانية والعبرية، واللاتينية، والإنجليزية، والألمانية، والإيطالية، والأسبانية، والروسية، والعربية، والصينية، والبولندية. وقد مكن هذا جينو من الرد على أية أسئلة يمكن أن تطرح عليه، فكان بإمكانه التحدث مع معظم محاوريه بلغتهم الخاصة، وكان متقنًا للغة وروح الحضارات البعيدة على حد سواء"(٢).

وفي وقت مبكر من حياته في الثانية والعشرين من عمره كانت كتاباته تعادي السلطة وكان اهتمامه بالشرق سلاحًا ذا حدين، فهو من ناحية لاقى بفضله الشكر والامتنان من قبل أولئك الذين حاولوا البحث عن حضارات الشرق القديم، ومن الناحية الأخرى لاقى الكراهية والاضطهاد من الغالبية العظمى للذين تعرض لقواعدهم وآرائهم الخاطئة من وجهة نظره(٣).

(1) Harry old meadow: René Guénon http://www.scribd.com/document/3264760841Réne-Guuénon-H-old-meadow.pdf/5/8/2017.P. 1.
(2) Paul chacornac: The simple life of Réne Guénon trans. Cecil Bet hell, Sophia perennis, 2001, P.1
(3) Réne Gouénon: Biograpical information. http://www.réneguénon.Net/ingles/inglesguenon biografia/5/8/2017

ومثلت الفترة ما بين عامي ١٩١٢-١٩٣٠م حياة جينو بشكل عام، فلقد حضر المحاضرات في السربون، وكتب كثيرًا من المقالات إلى جانب محافظته على التواصل الاجتماعي والفكري، وقد نشر أول كتبه في العشرينيَّات وسرعان ما أصبح معروفًا بكتاباته الفلسفية والميتافيزيقة(٤).

فضلًا عن أن السنوات ما بين ١٩٢٧م، ١٩٣٠م كانت نقطة تحول أيضًا في حياة جينو، وبلغت ذروتها عندما انتقل إلى القاهرة في عام ١٩٣٠م ودخوله الإسلام، وفي يناير ١٩٢٨م توفيت زوجته فغادر فرنسا إلى القاهرة وبقى فيها حتى وفاته عام ١٩٥١م(٥).

أضف إلى ذلك أنه قدم كثيرًا من الأعمال الرئيسة في هذا المجال والتي تشمل جوانية دانتي l'ésotérisme de clante (١٩٢٥) والقديس برنارد St. Bernard (١٩٢٩م)، ورمزية الصليب Lesymbolisme de la croix (١٩٣١) والروحانية الأصيلة، والفقر والروحي (١٩٢٩م) Autorite spirituelle et pouvior temporal الذي أحدث جدلًا واسعًا في الأوساط المعاصرة(٦)، والإنسان ومستقبله وفقا للفيدانتا، والثالوث الكبير، ومقدمة لدراسة العقائد الهندوسية(٧).

وقد نشر كتابيه الشرق والغرب وأزمة العالم الحديث في النصف الأول من القرن العشرين، هذان الكتابان اللذان لا زالا يُقرآن على نطاق واسع حتى اليوم، فضلًا عن أنه تمت ترجمتهما إلى عدة لغات. وبالإضافة إلى هذين الكتابين المكرسين لنقد العالم الحديث من الناحية التراثية؛ فإن كتابات جينو تتضمن إشارات كثيرة إلى المفاهيم الميتافيزيقية والفلسفية الخاطئة السائدة في المجتمعات الغربية الحديثة(٨).

(4) Paul chacornac: The simple life of Réne Guénon, P. 1
(5) Ibid. P. 1.
(6) Harry old meado: Réne Guénon, P. 2
(7) Kalin Ibrahim: Réne Gouénon (Abdel – Wahid Yahya) www.cis-ca.org/voics/9/guénon-mn.htm/15/8/2017, p. 2
(8) Kalin Ibrahim: Réne Gouénon (Abdel – Wahid Yahya) www.cis-ca.org/voics/9/guénon-mn.htm/15/8/2017, p. 1

(ISSN: 2536 - 9555)

وقد كتب جينو كثيرًا من الموضوعات في الميتافيزيقا والرمزية لنقد العالم الحديث والعلوم التقليدية؛ ومن بين الموضوعات التي اعتاد على كتابتها موضوع التناقض الحاد بين النظرة التراثية التي تتميز بها مختلف الأديان، و"العالم والحداثة" وقد كانت كتاباته المكرسة لنقد الحداثة والعالم الحديث تتضمن كثيرًا من التحليلات العميقة والدائمة للعالم الحديث ونظرته الفلسفية(٩).

وفيما يتعلق بكتابات جينو بشأن العلم، يمكننا أن نحلل آراء جينو إلى فئتين أساسيتين تتعلق الفئة الأولى من كتاباته بالتحليل النقدي للعلوم الحديثة ورؤيتها الفلسفية. وتتعامل المجموعة الثانية من كتاباته مع العلوم الطبيعية التراثية، مثل: علم الكونيات، والخيمياء، وفلسفة الأرقام، وعلم النفس. ويتناول الجزء الثاني من أعماله مؤلفات عن المذاهب التراثية، ومن خلال هذه المؤلفات يحاول جينو إحياء المفاهيم التراثية والعلوم التي تم تجاهلها أو فقدانها مع ظهور الفلسفة الحديثة مثل كتابه "زمن الكمية وعلامات الأزمنة" *The Reign of Quantity and the Signs of the Times*، *Multiple States of Being*، والرموز الأساسية للعلم المقدس *Fundamental Symbols of Sacred Science*(١٠).

وقد أشار من خلال كتابه زمن الكمية إلى أن العلوم الحديثة والدنيوية هي في واقع الأمر نوع من الرسوم الكاريكاتورية المتدهوره(١١)، وقد اسهمت كثير من الدول والحكومات في إحياء المذاهب التراثية مما ساعد على نهضة وانتشار المدرسة التراثية والتي كان من أبرز ممثليها فريختوف شوان Frithjof Schuon (١٩٠٧–١٩٩٨)، وأناناداكومارسوامي Ananda Coomaraswamy (١٨٧٧–١٩٤٧)، وتتيوس بوكهارت Titus Burckhard (١٩٠٨–١٩٨٤)، وماركو بالس Marco Pallis (١٨٩٥–١٩٩٠) وسيد حسين نصر Seyyed Hussein Nasr (١٩٣٣) ومارتن لينجز (١٩٠٩–٢٠٠٥) Martin Lings(١٢).

(9) Kalin Ibrahim: Réne Guénon, P. 1.
(10) Ibid. P. 1.
(11) Harry old meadow: Réne Guénon, P. 2.
(12) Kalin Ibrahim: Réne Guénon, P. 1.

نشأ رينيه جينو في فرنسا من أسرة كاثوليكية ثرية محافظة... ودوى اسمه في أوربا قاطبة وأمريكا، فضلًا عن أنه كان معروفا لدى الذين يتصلون بالدراسات الفلسفية والدينية. وقد كان إسلامه ثورة كبرى هزت ضمائر الكثيرين من ذوي البصائر العاقلة فاقتدوا به، واعتنقوا الإسلام، وكونوا جماعات مؤمنة مخلصة تعبد الله على يقين داخل معاقل الكاثوليكية في الغرب(١٣).

وكان سبب إسلامه بسيطًا ومنطقيًا في آن واحد... لقد أراد أن يعتصم بنص مقدس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلم يجد– بعد دراسة عميقة– سوى القرآن، فهو الكتاب الوحيد الذي لم ينل التحريف ولا التبديل؛ لأن الله تكفل بحفظه في قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر: ٩].

لقد وجد جينو القرآن نصًّا مقدسًا صحيحًا فاعتصم به، وسار تحت لوائه، فغمره الأمن النفسي، بل أصبح من المدافعين بقوة وحماسة عن الدين الإسلامي، الذي وضع عنه عدة مؤلفات مشهورة، من بينها كتاب "أزمة العالم الحديث" تناول فيه الانحراف والضلال الذي تعاني منه أوربا وكيفية التخلص منه بتطبيق تعاليم الإسلام التي فيها الحل الأمثل لشتى المشاكل التي تعترض الأمم والشعوب. كذلك قام بوضع كتاب أسماه "الشرق والغرب" وهو يعد من الكتب النفيسة التي رد فيها إلى الشرق مكانته مبينًا أصالته في الحضارة التي لها فضل على الغرب(١٤).

وقد حرمت الكنيسة قراءة كتبه، والكنيسة لا تفعل هذا إلا مع كبار المفكرين الذين تخشى خطرهم، وقد وضعته بذلك بجوار عباقرة الفكر الذين اتخذت اتجاههم نفس المسالك، ولكنها رأت في "رينيه جينو" خطرًا يكبر كل خطر سابقيه فحرمت الحديث عنه.

---

(١٣) عبدالحليم محمود: أوربا والإسلام، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٩١، وانظر ايضا: محمد كامل عبدالصمد: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٨١.

(١٤) المرجع السابق، ص٨٢.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويمكن تقسيم مؤلفاته التي تصل إلى عشرين كتابًا وعشرات المقالات إلى أربعة محاور أساسية، هى: الإنسان، والكون، والعالم الحديث، وعالم التراث. كما يمكن تقسيمها بصورة أخرى إلى دراسات مذهبية ودراسات رمزية، وما يمكن أن نطلق عليه دراسات تكميلية من الناحية التاريخية(١٥).

لقد عُنِيَ جينو بالدراسات الصوفية والإسلامية، وأصدر مجلة المعرفة لنشر الأبحاث عن الإسلام والبوذية وديانات الهند. وقد لقبته الصحافة الأوربية بفيلسوف القاهرة. ومؤلفاته معظمها عن الهند وعقائد الصوفية ككتاب الروح، ومن مباحثه العربية سر حرف النون والألفباء العربية : دراسات تقليدية ١٩٣٨م، وله في الإسلام والعرب سيف الإسلام ١٩٤٧م والعقيدة الباطنية في الإسلام ١٩٤٧م، وعن الصوفية دراسات الأديان المقارنة ١٩٦٧م، ومنطق الطير ١٩٦٩م، وقد أصدر الدكتور عبد الحليم محمود كتابًا عنه بعنوان: الفيلسوف المسلم (١٦).

ورينيه جينو من الشخصيات التي أخذت مكانها في التاريخ، حيث يضعه المسلمون بجوار الإمام الغزالي وأمثاله، ويضعه غير المسلمين بجوار أفلوطين صاحب الأفلاطونية المحدثة وأمثاله(١٧).

ثانياً: الحضارة مادية أم عقلية؟

لقد كان أول منتج للعقلانية فيما يسمى المجال العلمي يكمن في "الآلية الديكارتية" ولم يكن يتسنى بعد للمادية الظهور في ذلك الوقت، فهذان المصطلحان لا يلتقيان في الواقع إلا في بداية القرن الثامن عشر، فمهما كانت نوايا ديكارت نفسه، فإن هناك نوعًا من التباين المباشر بين الآلية والمادية(١٨).

---

(١٥) زينب عبد العزيز: مقالات من رينيه جينو، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٩

(١٦) نجيب العفيفي: المستشرقون، ج١، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٠م، ص٢٨٩-٢٩٠

(١٧) عبدالحليم محمود: قضية التصوف (المدرسة الشاذلية)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٠١، وانظر أيضًا عبدالحليم محمود: أوربا والإسلام، ص ٨٧، ومحمد المنشاوي: فلسفة التصوف الإسلامي، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٨م.

(18) Réne Guénon: The Reign of Quantity and the signs of the times,, trans lord North Bourne Sophia Perennis, Part 1, P. 96.

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح العقلانية يرجع في الأصل إلى ديكارت، ويرتبط هذا المصطلح بشكل مباشر ومنذ نشأته بفكرة الطبيعة الميكانيكية، على الرغم من أن الكلمة نفسها لم تكن موجودة في ذلك الحين، وقد أثبت هذا الاتجاه وجوده بشكل واضح في مجال الفلسفة، وتعرف العقلانية بجميع أشكالها من خلال الاعتقاد بسيادة العقل بوصفه العقيدة الحقيقية، مما يعني بشكل ضمني إنكار كل شيء فوق فردي، ولا سيما الحدس الفكري الخالص، وهذا يحمل معها منطقيًّا استبعاد المعرفة الميتافيزيقية الحقة بشكل كامل(١٩).

ويجاري جينو الشرقيين في أخذهم على الحضارة الغربية بإنها ليست سوى حضارة مادية تمامًا، ويرى أنها قد تطورت حصريًّا في هذا الاتجاه، وأننا متى نظرنا إلى هذا الأمر من أي اتجاه وجدنا هذه المادية إلا أننا إذا استخدمنا هذه المادية لتمييز العالم المعاصر، فإن البعض، ممن لا يعتقدون أنهم ماديون مع ادعائهم أنهم حدثيون جدًّا لن يطول بهم الزمن حتى يحتجوا ويقتنعوا أن الأمر هنا ليس سوى افتراء حقيقي(٢٠).

ويستطرد جينو هنا بأن كلمة المادية نفسها لم يبدأ استخدامها إلا في القرن الثامن عشر، وأنها من اختراع الفيلسوف باركلي، الذي وظفها للإشارة إلى نظرية تسلم بالوجود الحقيقي للمادة، وبعدها أخذت الكلمة نفسها معنى أضيق، وهو الذي احتفظت به منذ ذلك الوقت: لقد ميز مفهومًا يصرح بأن لا وجود لشيء غير المادة وما يصدر عنها؛ ويجدر هنا أن جينو يؤكد حدة مثل هذا المفهوم، بما أنه مفهومٌ جوهريٌّ فهو نتاج للعقل الحديث، وبما أنه يتوافق على الأقل مع جزء من النزعات الخاصة بهذا العقل(٢١).

---

(19) Ibid, P. 90

(٢٠) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ترجمة: عدنان نجيب الدين، الشيخ جمال عمار، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ٢٠١٦م، ص١٠٩.

(٢١) المرجع السابق، ص١٠٩، ١١٠

(ISSN: 2536 - 9555)

ويتكلم جينو هنا عن المادية ولكن بمعنى آخر، معنى أوسع بكثير وأكثر وضوحًا، فما تمثله كلمة المادية بهذا المعنى، هو عقلية بحد ذاتها، ويجسد المفهوم الذي عرفه جينو قبل قليل تجليًا لها من بين تجليات أخرى كثيرة، وهو في ذاته مستقل عن كل نظرية فلسفية، إن هذه العقلية هي تلك التي تقوم بوعي متفاوت على منح التفوق للأشياء التابعة للمستوى المادي وللاهتمامات التي ترتبط بها، سواء أكانت تلك الاهتمامات تحتفظ بمظهر تأملي أم عملي بشكل محض، ولا يمكن لأي إنسان أن ينكر أن هذه هي عقلية الغالبية العظمى من معاصرينا(٢٢).

وفي ضوء ذلك يشير جينو إلى أن العلم الدنيوي كله، الذي تطور خلال القرون الأخيرة، ليس سوى دراسة العالم المحسوس، وأنه قد وقع في أسرة بشكل حصري، ومناهجه غير قابلة للتطبيق سوى في هذا المجال الوحيد؛ وقد أعلنت أن هذه المناهج تُعَدُّ مناهج علمية دون أية مناهج أخرى، مما يعني إنكار كل علم لا يتعلق بالماديات. وفي المقابل نجد أن هناك من رفضوا أن يعلنوا أنفسهم "ماديين" أو أن ينضموا إلى نظريات فلسفية تحمل هذا الاسم؛ كما يوجد آخرون يعلنون ـ طواعية؛ بعقائدهم الدينية ـ لكن موقفهم العلمي لا يختلف بشكل ملموس عن موقف الماديين(٢٣).

ويرى جينو أنه غالبًا ما نوقشت من وجهة نظر دينية مسألة معرفة ما إذا كان العلم الحديث يجب أن يشهر كملحد أو كمادي، وفي الأغلب، طرحت المسألة بشكل سيئ جدًّا؛ فمن المؤكد أن هذا العلم لا يجاهر بشكل صريح بالإلحاد أو بالمادية، كما أنه من المؤكد جدًّا أن هذا العلم يكتفي عبر أفكار مسبقة بتجاهل بعض الأمور بدون أن يعلنا اتجاهها إنكارًا قطعيًّا كما يفعل هذا الفيلسوف أو

(٢٢) المرجع السابق، ص١١٠

(23) The Essential Réne Guénon (Metaphysics, Tradition, and The Crisis of Modernity), p. 29.

ذاك؟ إذ لا يمكننا ـ فيما يخص العلم الحديث ـ أن نتكلم سوى عن مادية ملموسة في الواقع، أي عما نسميه مادية عملية(٢٤).

ويرى جينو أن الغربيون يدخلون الخيال في المجالات التي لا يكون للخيال دور فيها، وهذا يثبت في رأيه عجز الغربيين عن الارتفاع عن مستوى المحسوس؛ وهو يرى أن الكثيرون لا يحسنون القيام بأدنى تمييز بين تصور وتخيل، وبعض الفلاسفة أمثال كانط يذهبون إلى حد القول: إن كل ما هو غير قابل للتمثيل هو غير قابل للتصور وغير قابل للإدراك أيضًا. ولهذا، فإن جينو يرى أن ما يسمى روحانية أو مثالية ليس هو في الأغلب، سوى نوع من المادية المنقولة، وهذا ينطبق فقط على ما يعرف باسم الروحانية الفلسفية التي تجعل نفسها الطرف المقابل للمادية(٢٥).

وينظر إلى الروحانية والمادية من الناحية الفلسفية بأنه من غير الممكن فهم الواحدة منهما دون فهم الأخرى، فهما ببساطة فيما يرى جينو يمثلان نصفا الثنائية الديكارتية، وعلى هذا يمثل الفصل بينها نوعًا من التضاد، ومن ثم ظلت الفلسفة تتأرجح بين هذين المصطلحين من دون أن تتمكن من تجاوزهما(٢٦).

ويشير جينو إلى أن المحدثين عامة، لا يتصورون أي علم آخر سوى العلم بالأشياء التي تقاس والتي تعد وتؤذن أي الأشياء المادية؛ لأنها الشيء الوحيد الذي يمكن أن تنطبق عليه النظرة الكمية، والمطالبة بإرجاع الكيف إلى الكم هي من المميزات القوية للعلم الحديث. وقد رسمت من وجهة نظره أولية ديكارت بداية هذه النزعة التي لم تكف عن التعمق رغم سقوط الفيزياء الديكارتية؛ لأنها ليست مرتبطة بنظرية محددة، بل بتصور عام للمعرفة العلمية(٢٧).

---

(٢٤) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ص١١١.

(25) The Essential Réne Guénon (Metaphysics, Tradition, and The Crisis of Modernity), p. 30.

(26) Ibid, 30.

(٢٧) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ص١١٣.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويضيف جينو بأن هناك محاولات لاستخدام القياس في مجال علم النفس، على الرغم من أنه من الصعب فعل ذلك بسبب طبيعة علم النفس ذاتها، وإلى جانب أن قدرة القياس لا ترتكز إلا على خاصية ذاتية للمادة، والتي هي قابليتها غير المحدودة للانقسام؛ إلا إذا تم التوصل إلى حد الاعتقاد أن هذه الخاصية تشمل كل ما هو موجود، ما يعني مادية جميع الأشياء(٢٨).

ووصف جينو الحضارة الغربية بأنها حضارة كمية، ما هو إلا طريقة أخرى للقول: إنها حضارة مادية. ويشير جينو هنا إلى أنه لم تعد الصناعة فقط تطبيقًا للعلم، بل أصبح التطبيق علة وجود العلم ومبرره، وقد عمل العلم الحديث على تطوير الصناعة والنزعة الآلية؛ ولهذا يرى جينو أن البشر بسعيهم إلى السيطرة على المادة وإخضاعها لاستخداماتهم لم ينجحوا، إلا في طموحاتهم العقلية في اختراع الآلات وصناعتها، وآل أمرهم إلى أن أصبحوا هم أنفسهم آلات(٢٩).

ويشير ردين وترفيلد إلى هجوم جينو على العقلية الغربية الحديثة واهتمامه وإعجابه العميق بالشرق، فالشرق والغرب ليسا تميزيين جغرافيَّين أو حتى ثقافيين في المقام الأول، ولكنها رمزان لموقفين أساسيين مختلفين، فقد ركز الغرب وخلال الخمسمائة عامٍ الماضية على العالم المادي وفقد التواصل مع الواقع الذي لا يمكن الاستهانة به(٣٠).

وبما أن العلم واختراق المادة يعتمدان على الانقسام والفصل والتحليل والسعي وراء "إما/أو"، فإن الغرب قد اخترق المادة والعالم المادي إلى حد أنه جعل المادة هي الحقيقة الوحيدة، فكانوا ينظرون إلى الطاقة على أنها مادة. وهذا الموقف قد جعل الإنسان لا يدرك مكانه الحقيقي في مخطط الأشياء(٣١).

(28) The Essential Réne Guénon (Metaphysics, Tradition, and The Crisis of Modernity), p. 31.
(29) Ibid. 33.
(30) Robin Waterfild: Réne Guénon and the future of the west the life and writings of a 20 Th century metaphysican Sophia perennis Hillsdaleny, 2002, P. 67.
(31) Ibid. P. 67.

ومن ناحية أخرى، فإن الشرق قد ألقى الضوء على الواقع المتسق الذي من السهل على المرء الوصول إليه من خلال الحدس الفكري المباشر. وقد اتبع الغرب الطريق إلى أعماق المادة، واتبع الشرق بشكل تقليدي الطريق إلى أعماق الروح، وقد تناول الجانبان الجانب المهمل، كل بطريقته المختلفة، وقد فصل الغرب الروح عن المادة، وخلق مقولات لا وجود لها في الشرق ولا سيما الفصل بين الله والعالم، والسماء والأرض، والمقدس والعلماني، وبين العقل والمادة، والجسد والروح. ولا يوجد أي من هذه الانقسامات في الشرق. ولكنهم في الشرق حافظوا بشكل واضح على الوحدة مع التمييز داخل هذه الوحدة. ولا توجد من وجهة نظره أية انقسامات يمكن أن تدمر هذه الوحدة(٣٢).

ولتأكيد التباين العميق بين العلوم الحديثة والتقليدية؛ يطلق جينو على الأول العلم المقدس، وعلى الأخير العلم الدنيوي. والعلم المقدس في هذا السياق هو العلم المرادف للعلم التراثي ويقوم على "الحدس الفكري" من ناحية، والتسلسل الهرمي للكون من ناحية أخرى. وبالنسبة لجينو فإن الحدس الفكري الذي يكمن في المجتمعات التراثية يسبق المعرفة الخطابية؛ لأنه يرتبط مباشرة بمعرفة المطلق، أما النسبي في مجال العلوم الفيزيائية وتطبيقاتها فتكون في شكل أساليب وتقنيات كمية مختلفة(٣٣).

وتتعامل علوم الطبيعة مع النسبي بمعنى أنها ترتبط بعالم التعددية وهذا ما يفسر وفقًا لجينو وجود العلوم التراثية التي توضح الاختلافات الكبيرة من حيث الشكل واللغة من أية حضارة تراثية أخرى، ولكنها تبقى هي نفسها من حيث جوهرها ومبدؤها عندما تفسر على أنها تكيفات ورسوم توضيحية متنوعة للمبادئ الميتافيزيقية إلى عالم الوجود المادي والنظم الكونية والعلمية والتراثية التي تستخدم منهجيات مختلفة ولغات داخل وعبر حضارات أصبحت مبررة. ويتناول جينو مسألة نشأة المنهج التجريبي بالعلوم الحديثة ويطرح السؤال على النحو التالي:

(32) Ibid. P. 67.
(33) Kalin Ibrahim: Réne Gouénon (1886-1951), P. 3.

(ISSN: 2536 - 9555)

لماذا تلقت العلوم التجريبية تطورًا في الحضارة الحديثة مثلما لم تتلقها أية حضارة أخرى من قبل؟ ويجيب جينو عن هذا السؤال من خلال تأكيده الاتجاه للعالم الحديث، وأنه يمثل الاهتمام الحصري للعقل الحديث مع ما هو معطى لنا في تجربتنا بالمعنى المباشر(٣٤).

وتقتصر العلوم الطبيعية بحكم تعريفها على المجال المادي وتوفر وصولًا منهجيًا إلى ما يمكن اختياره فقط في العالم المعقول، وبالتالي فإن العلوم تتعامل مع الواقع ومع ما هو متاح لها بشكل مباشر من حيث الإحساس والمشاعر والخبرات، وقد كانت الفلسفة بعد كانط وطلابه خادمة للفيزياء أي أنها كانت مجرد مترجم للحقائق والمعطيات التي تقدمها لنا العلوم الفيزيائية(٣٥).

وبوصفه المدافع الأبرز عن الميتافيزيقا التراثية وفلسفة العلم في القرن العشرين لعب جينو دورًا مهمًا في تطوير العلمية scientism وفقًا لما يسميها ولفجانج سميث wolfgung smith، على الرغم من أن جينو ظل غير معروف إلى حد ما في الأوساط الأكاديمية بسبب انتقاده المتواصل للعالم الحديث ودفاعه الذي لا هوادة فيه عن التراث وعن الشرق، وقد كان لكتاباته أعظم الأثر على كثير من المثقفين والكتاب في الغرب والشرق.

وتظهر الحضارة الحديثة على أنها شيء شاذ، فكل ما نعرفه قد تطور بمعنى مادي بحت، ودون أن يكون مدعومًا من أي مبدأ أعلى. وهذا التطور المادي الذي حدث لعدة قرون وتم بوتيرة متسارعة قد رافقه انحدار فكري لا يمكن لهذا التقدم المادي نفسه أن يبطله، ويطلق عليها جينو روحانية؛ لأنه يرفض أن يسميها عقلية intellectudity، وهذا التطور غير المألوف الذي تزامن بداية مع ما يسمى بعصر النهضة، قد رافقه تراجع فكري مقابل، وهذا لأن الغرب اليوم لم يعد يعرف ما المقصود بالفكر الخالص، وبالتالي يبدو ازدراؤهم ليس فقط للحضارة الشرقية؛ ولكن أيضًا للعصور الوسطى في أوربا(٣٦).

(34) Ibid. P. 3.
(35) Ibid. P. 4.
(36) Réne Guénon: East and West, trans. by martin lings, P. 11; and Réne Guénon: Fundamental symbols the universal language of sacred science,

وهنا يقتبس جينو مقولة لتأييد وجهة نظره: "فإذا كان الفعل civilize قد استخدم بواسطة مؤلفين القرن الثامن عشر، فإن الاسم "حضارة" لا يمكن أن يجتمع إلا في الاقتصاديين؛ وذلك في السنوات التي سبقت الثورة الفرنسية مباشرة، وبالتالي فإن كلمة الحضارة ليس لها أكثر من قرن ونصف على وجودها. ففي عام ١٨٣٥م قد وجدت هذه الكلمة طريقها إلى قاموس الأكاديميين. فلم يكن القدماء– الذين نتبعهم– يعرفون ما يعنيه مصطلح الحضارة، فإذا أعطينا هذه الكلمة للقائمين على النثر اللاتيني، سنجد الطالب نفسه في مأزق؛ إذ إنه سيواجه صعوبة كبيرة في ترجمتها، وقد انتشرت هذه الكلمة كلمة الحضارة خلال القرن التاسع عشر بفضل الاكتشافات العلمية وتطوير الصناعة والتجارة والازدهار والرعاية المادية، وهذا قد خلق نوعًا من الحمية "التعصب الديني enthusiasm".

أما مفهوم التقدم فإنه يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وهذا المفهوم ساعد على إقناع البشرية بأنها دخلت عصرًا جديدًا، يسمى عصر الحضارة المطلقة، إنه نسى تمامًا فوربيه وهو طوباوي مطلق uttervtopian، ويرجع إليه الفضل الأول في إطلاق "عصر الحضارة" على عصرنا الحاضر، وتحديده للحضارة بالعصر الحديث... وهكذا كانت الحضارة هي درجة التطور والكمال التي وصلت إليها دول أوربا في القرن الثامن عشر. وهذا المصطلح، على الرغم من أنه لم يكن معروفًا، بما في ذلك التقدم المادي والمعنوي فإنهما لا ينفصلان– باختصار– كانت حضارة أوروبا نفسها، تمثل براءة اختراع قد منحها العالم الأوربي لنفسه[٣٧]. وهذا هو بالضبط ما يؤمن به جينو ويؤكده وقد اقتبس هذه الفقرة هنا ليؤكد للجميع أنه ليس هو الوحيد الذي يفكر على هذا النحو.

ويوضح جينو هنا أن بعض فروع المعرفة العلمية لها أساس تراثي، ومن السمات الخاصة لهذا العلم الغربي هي ادعاؤه بأن يكون مستقلًا تمامًا ومتمتعًا

---

trans. Alvin moore Jr., Revised and ed. Martin Lings, Quintaessentia, Combridge, 1995, P. 3.

([37]) Réne Guénon: East and West, P. 13-14 and Guénon quoited it from l'Avenir de la civilization, Revue universelle, March, 1922, PP. 586-587.

(ISSN: 2536 - 9555)

بالحكم الذاتي، ولا يمكن تأييد هذا الادعاء إلا بتجاهل جميع المعارف ذات الترتيب الأعلى للمعرفة العلمية بشكل منهجي أو من خلال إنكارها رسميًّا، فما فوق العلم هو الميتافيزيقا وهي معرفة متعالية وهي علم المعرفة العقلانية فقط(٣٨).

ويشير جينو إلى التطور الهائل في العلوم التجريبية وهو المجال الذي يتفوق فيه الغرب الحديث بشكل واضح، وهذه العلوم موجودة في الشرق، وهي من بين تلك العلوم التي يمكن أن نطلق عليها علوم تراثية، وحتى في الغرب كان هناك أيضًا خلال العصور الوسطى هذه العلوم، وبعضها يؤدي إلى تطبيقات عملية فعالة لا يمكن إنكارها لممثلي أوربا الحديثة(٣٩).

وفي مثل هذه الظروف، فإنه لو ادعى الفيلسوف الحديث أنه مهتمٌ بالميتافيزيقا، يمكن للمرء أن يكون على يقين من أن ما لديه لا شيء على الإطلاق يتعلق بالميتافيزيقا الحقيقية وهذا هو الحال في الواقع، ويمكن تسميتها "الميتافيزيقا الزائفة والسمات العامة المميزة للفكر الحديث هي الغياب الكامل للمعرفة الميتافيزيقية وإنكار كل معرفة ليست علمية. فالميتافيزيقا هى أساس معرفة فوق عقلانية، ولا توجد معرفة ممكنة تتجاوز المعرفة العلمية، وبالتالي العقلانية بشكل ضروري، ففي الميتافيزيقا، كل الفلاسفة المحدثون فلاسفة عقلانيون(٤٠).

وعلى هذا يرى جينو أننا عندما نقول: إن العلوم وحتى العلوم التجريبية لها في الشرق أساس تراثي فإننا نعني– في رأيه– أنها على نقيض العلوم الغربية تتعلق بمبادئ معينة. صحيح أنه لا يزال هناك تمييز عميق بين المعرفة الميتافيزيقية والمعرفة العلمية، ولكن ليس هناك تمييز مطلق بينهما(٤١).

ثالثاً: هيمنة الغرب: سيادة أم اجتياح؟

تتلخص رؤى جينو الفكرية في أن الغرب قد ضل الطريق، وذلك منذ أن ابتعد عن ذلك الخيط التراثي الإيماني، وخاض في الماديات، وأن هذا الخيط قد تواصل

(38) Réne Guénon: East and West, P. 33.
(39) Ibid, p.34.
(40) Ibid, p. 34.
(41) Ibid, p. 36– 37.

في الشرق ولا زال، لذلك كان يسعى إلى تكوين نخبة متشعبة بالتراث الشرقي الإسلامي، لتقوم بها نهضة الغرب ثانية؛ فهذا المجال يهدف إلى استكشاف عالم ما فوق الطبيعة، وذلك العالم الذي ينكره هو العالم المادي؛ لأنه– في رأيه–محدود الأفق... لذلك تهدف أعمال جينو إلى نفع أولئك الذين ينكرون الغيب إلى تأمل هذا المجال ليغترف منه كل فرد ما في وسعه أن يصل إليه(٤٢).

ويبدو واضحًا انتقاده للغرب الذي أطاح أولًا بتدرج القيم في كافة المجالات، وقلل من شأن المجال الفكري، وبالغ في أهمية كل من المجالين المادي والعاطفي، وكأنه قد فقد البصر والبصيرة– فلم يعد مدركًا لعتامة المادة ولا لنور الجوهر، لذلك أصبح سلبي الوحدة أو المقياس، يفتقد إلى المبادئ التراثية المتوارثة. الأمر الذي أدى إلى تلك الفوضى الفكرية، وإلى تضاعف عدد الفرق الدينية وشبه الدينية والأنظمة الفلسفية إلى ما لا نهاية؛ لأن إرجاع كل شيء إلى العقل– إن أمكن القول– يؤدي إلى التشتت والظاهرية؛ وكلاهما يؤديان إلى تدمير الفكر كلية(٤٣).

وأصبح الغرب لا يؤمن بأي مبدأ علوي، بل إنه قائم على إنكار المبادئ، لذلك لم يعد يمتلك أية وسيلة للتفاهم مع الحضارات التراثية أو الطبيعية، فقد تم تجريد كل شيء من أي طابع مقدس أو تراثي، وبذلك أنحط مستوى المعيشة إلى تفاهة الحياة العادية مثلما نراها اليوم(٤٤).

ونتيجة لابتعاد الغرب عن الرباط التراثي المتواصل، يرى رينيه جينو أن الحضارة الغربية أصبحت تتسم بما هو غير طبيعي... وقد انعكس ذلك على العقلية نفسها التي باتت تُصنع– بعد أن فقدت تلقائيتها... وبذلك أصبح مجال الفكر الغربي في نظره يتسم بالقلق الذهني إلى ما لا نهاية، وإلى ما لا مخرج... ومن هنا غرق في المشاكل المفتعلة والخاطئة أو التي تطرح بصورة خطأ، ولا يهتم

(٤٢) زينب عبد العزيز: مقالات من رينيه جينو، ص٩.
(٤٣) المرجع السابق، ص١١.
(٤٤) المرجع السابق، ص١١.

(ISSN: 2536 - 9555)

الغربيون بحلها أو بالبحث عن حلول صائبة لها؛ وإنما يقومون بتغذية الخلافات والمناقشات واستبدال البحث بالمعرفة، مع إلغاء مفهوم الحقيقة كلية، في حين أن الحقيقة يجب أن تصل إليه، واكتفوا بالتجريبية والميل إلى حصر كل شيء في نطاق التجربة المحسوسة(٤٥).

وقد أدت عدم قدرتهم على التوصل إلى المبادئ الحقيقية التي تقوم عليها موازين الكون إلى تحديد كل شيء بنطاق الإنسان الجسد، وفي حدود كيانه المادي فحسب... وهو ما أدى إلى الفلسفة العقلانية، التي أدت بدورها إلى استحالة العثور على حلول بالعقل وحده، فانتقلوا إلى فلسفة الحدس الذي يكره الواقع الملموس... ثم إلى مذهب النفعية، وإلى إحلال المنفعة بدلًا من الحقيقة.

ويرى جينو أن ذلك العصر الغربي الذي يزعم تحرير الفكر يزخر بأكثر المعتقدات الوهمية، التي لم يعرفها أي عصر مضى...؛ وذلك لأن انتصارات العالم الحديث تنحصر في مجرد كلمات طنانة متألقة البريق، ولا تحمل شيئًا في طياتها وأكثر ما يعيبه جينو على الغربيين هو الولع الشديد بمفهوم المساواة، وأنهم رغم هذا الولع، يؤمنون بأنهم أعلى وأرقى بمراحل من كافة البشر، وهنا يسخر جينو من أن مقياس العلو والرقي لديهم يقاس بالمادة والثروة، أي أنه رقي ظاهري، أبعد ما يكون عن الرقي الحقيقي القائم على درجة المعرفة بالعالم الآخر، وبالقدرة على التمييز بين عتامة المادة ونور الجوهر... ومع ذلك يجاهد الأوربيون لإجبار العالم بأسره على الاهتمام فقط بنفس اهتمامهم، وعلى وضع الاهتمامات المادية والاقتصادية في الصدارة وعلى تبني اختيارهم لنظامهم السياسي(٤٦).

ويضحك جينو من أولئك العصريين الذين يتباهون دومًا بالسيطرة على قوى الطبيعة، غير مدركين أنهم أبعد ما يكونون عن فهم القوى الحقيقية المحركة لهذه

(٤٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.
(٤٦) المرجع السابق، ص١١، ١٢.

الطبيعة، التي لا يتوقفون عن تهميشها، ولا عن فهم تلك القوى التي أوجدتها... فقد ابتعد الغرب عن الدين كلية، وعن إيمانه بالله الواحد وأصبح يتقبل طواعية أغرب المتناقضات على أنها مسلمات(٤٧).

ويوضح جينو في مؤلفاته كيف أن حضارة الغرب ينقصها التوجيه من مذهب فكري، فهي حضارة لا تهتم بنوعية المعارف التي تتراكم لديها، وإنما تهتم فقط بكميتها... الأمر الذي يؤدي بها إلى التشتت في تفاصيلها اللانهائية، وتحصر العقل الحديث في نسبية متزايدة الاضمحلال، وتكمن خطورة مثل هذه الحضارة القائمة على المادة وحدها، في أن نجاحها لا يمكن إلا أن يكون عابرًا؛ لأن قانون المادة هو التغيير، بل إن مجازفة التقدم المادي وحده قد تؤدي إلى كارثة جارفة.

ومن هنا فالغرب سينتهي به المطاف إلى أن يهدم نفسه بنفسه، سواء أكان ذلك في حرب مهولة، أم كنتيجة غير متوقعة للعبث ببعض المواد التي ينتجها، والتي قد تأتي على قارة بأسرها وعدم استمرارية مثل هذه الحضارة يكمن فيما يرى جينو في السرعة الجامحة التي تطيح بكل ما هو ثابت، وكأنهم يشيدون على أرض متحركة... فما أن يصلوا إلى إتمام البناء حتى ينهار كل شيء، وعلى النقيض من ذلك، فإن الشرق لا يعير الزمان إلا قيمة شديدة النسبية(٤٨).

وقد انعكست سمات الفكر المعاصر القائمة على التغيير والتبديل على شخصية الفرد الغربي نفسه فأصبحت شخصيته تميل دائمًا إلى التغيير والحركة، فأفقده هذا الاتزان وأصبح يميل إلى التغيير حبًّا في التغيير، ويطلق عبارة التقدم على السير في أي اتجاه... وقد وصل شغف البحث لديهم إلى الوضع نفسه المؤدي إلى مجرد التغيير وعدم الاستقرار(٤٩).

---

(٤٧) زينب عبدالعزيز: مقالات من رينيه جينو، الموضع نفسه.

(٤٨) المرجع السابق، ص١٢.

(٤٩) المرجع السابق، ص١٣.

(ISSN: 2536 - 9555)

إن الغرب بالخصوص، يجب عليهم ألا يعتمد على الصناعة، ولا على العلم الحديث الذي لا ينفصل عنه؛ وذلك لكي يجد أرضية تفاهم مع الشرق؛ إذا حدث للشرقيين أن تقبلوا هذه الصناعة بضرورة مزعجة، مع كونها وقتية، فلأنها بالنسبة لهم، لا يمكن أن تكون أكثر من ذلك، ولن تكون أبدًا إلا سلاحًا يُمكنهم من مقاومة الاجتياح الغربي ومن المحافظة على وجودهم الخاص. ويؤكد جينو هنا ضرورة أن يدرك الجميع أن الأمر لا يمكن أن يكون بخلاف ذلك، وعندما يستسلم الشرقيون لتصور مناقشة اقتصادية إزاء الغرب، فإنهم يفعلون ذلك فقط بنية التخلص من الهيمنة الأجنبية التي لا ترتكز إلا على القوة الوحشية، وعلى القوة المادية التي تضعها الصناعة تحت تصرفها– فالعنف يستتبع العنف– لكن ينبغي أن نعترف بأن الشرقيين ليسوا هم بالتأكيد من سعي إلى الصراع على هذا(٥٠).

فضلًا عن ذلك، فإنه خارج مسألة العلاقات بين الشرق والغرب، من السهل تسجيل واحدة من أهم نتائج التطور الصناعي والتحسين المتواصل لأدوات الحرب وزيادة قدرتها التدميرية بنسب عالية جدًّا. هذا يكفي وحده للقضاء على الأحلام "السلمية" لبعض المفتونين بـ "التقدم" الحديث، لكن الحالمين والمثاليين غير القابلين للإصلاح يبدو أن سذاجتهم لا حدود لها(٥١).

لقد ولدت الفوضى الحديثة في الغرب، وإلى حد السنوات الأخيرة، ظلت محصورة كليًّا في حماه؛ وقد امتدت هذه الفوضى إلى كل مكان، ويبدو أنها قد بلغت حتى الشرق أيضًا... فالاجتياح الغربي هو بالتأكيد ليس أمرًا جديدًا كليًا، لكن إلى الآن، كان محدودًا بهيمنة متفاوتة الوحشية مسلطة على الشعوب الأخرى، هيمنة كانت آثارها محصورة في المجالين السياسي والاقتصادي.

وقد ظلت الحضارة التقليدية القديمة سليمة. ولكنها بعد ذلك– وعلى النقيض– وجدنا شرقيين قد اصبحوا غربيين كليًّا، وهجروا تقاليدهم ليتبنوا كل ضلالات العقل

(٥٠) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ص١١٩.
(٥١) المرجع السابق، ص١١٩.

الحديث، وأصبحت هذه العناصر الضالة بفضل التعليم في الجامعات الأوربية والأمريكية سببًا للاضطراب والتحريض في بلدانهم الأصلية(٥٢).

ويصرح جينو بشكل واضح بأن العقل الغربي، لكونه شيئًا غربيًا محضًا، فإن المتأثرين به، حتى وإن كانوا شرقيين بالفطرة يجب أن يعدون غربيين من جهة العقلية؛ لأن كل فكرة شرقية هي أجنبية عنهم بالكامل، ويبقى جهلهم بالعقائد التقليدية عذرهم الوحيد لعدائهم لها. وما يبدو غريبًا، بل وحتى مناقضًا، هو أن هؤلاء الناس أنفسهم الذين نصبوا أنفسهم أنصارًا للنزعة الغربية من وجهة النظر الفكرية، وبالأصح أعداء لكل عقلانية حقيقية، يظهرون أحيانًا كخصوم لها في المجال السياسي، ومع ذلك فليس هناك في الحقيقة ما يوجب الدهشة(٥٣).

إن هؤلاء الذين يسعون إلى تأسيس قوميات مختلفة في الشرق، وكل قومية هي بالضرورة، مناقضة للفكر التقليدي؛ إذا أرادوا محاربة الهيمنة الخارجية؛ فينبغي أن يتم ذلك حصرًا بالأساليب الغربية نفسها، أي بالطريقة نفسها التي تتصارع بها الشعوب الغربية فيما بينها، وربما كان هذا الأمر مبرر وجودهم. فبالفعل إذا كانت الأمور قد وصلت إلى حد أن أصبح استعمال مثل هذه الأساليب محتومًا، فإن تنفيذ ذلك لا يمكن أن يتم إلا على أيدي عناصر قد قطعت كل صلة لها بالتراث، ويمكن إذن أن تستعمل هذه العناصر في ذلك بشكل عابر، ثم يتم التخلص منها كما حصل مع الغربيين أنفسهم(٥٤).

وفضلًا عن ذلك، سيكون منطقيًّا جدًّا أن ترتد عليهم الأفكار التي روجها هؤلاء الغربيون؛ لأنها لا يمكن إلا أن تكون عوامل انقسام وخراب؛ ومن هنا بالذات ستباد الحضارة الغربية بشكل أو بآخر، ولا يهم أن تعرف إذا ما كان ذلك سيتم بفعل الشقاق بين الغربيين، أو بفعل الشقاق بين الأمم أو بين الطبقات

(٥٢) المرجع السابق، ص١٣١.
(٥٣) المرجع السابق، ص١٣٢.
(٥٤) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ترجمة: عدنان ص١٣٢– ١٣٣.

(ISSN: 2536 - 9555)

الاجتماعية، أو كما يفترض البعض بفعل هجمات الشرقيين "المتغربين"، أو أيضًا إثر كارثة يسببها التقدم العلمي"؛ في جميع الحالات، فإن العالم الغربي لا يتعرض للخطر إلا بسبب خطئه وبفعل ما يصدر عنه هو نفسه[٥٥].

ويتساءل جينو قائلًا: "ألن يشهد الشرق– بتأثير العقل الحديث– سوى أزمة عابرة وسطحية، أم أن الغرب سيجر معه، في سقوطه البشرية جمعاء؟ من الصعب أن نعطي في الوقت الراهن لهذا السؤال جوابًا مستندًا إلى إثباتات راسخة، إن العقلين المتعارضين كليهما موجودان في الشرق، والقوة الروحية، الذاتية للتقليد، والمستخف بها من قبل خصومها، يمكنها أن تهزم القوة المادية– عندما تلعب هذه دورها– وأن تبددها كما يُبدد النور الظلمات، بل نقول بثقة: إنها ستهزمها، حتمًا، عاجلًا أو آجلًا، لكن يمكن، قبل إدراك ذلك اليوم، أن يمر العالم بفترة تعم فيها الظلمات.

إن العقل التقليدي يستحيل أن يموت؛ لأنه ـ في جوهره ـ متعال عن الموت، وعن التغير؛ لكن يمكن أن ينسحب كليًا من العلم الخارجي، وعندها ستكون فعلًا "نهاية العالم" وتحقق هذا الاحتمال، في مستقبل غير بعيد نسبيًا، هو أمر غير مستبعد. في خضم هذه الحيرة المنطلقة من الغرب والتي تجتاح الشرق، يمكننا أن نلمح "بداية النهاية"، وكل هذا– فيما يرى جينو– مجرد توقعات؛ لذلك فهو يحاول أن يتخطى ذلك بالنظر إلى الأحداث الراهنة، ومما لا يمكن الشك فيه– في رأيه– أن الغرب يجتاح كل شيء؛ فهو يمارس أولًا فعله في المجال المادي، سواء من خلال الغزو العنيف، أم من خلال التجارة والاستيلاء على موارد جميع الشعوب، لكن الأمور تذهب أبعد من ذلك. أن الغربيين قد نجحوا إلى حد ما في إنقاذ عقلهم المادي والمعادي للتقليد، من الآخرين، وبعد ما كان الاجتياح لا يؤثر إلا على الأجساد، فإنه أصبح يسم العقول ويقتل الروحية[٥٦].

([٥٥]) المرجع السابق، ص١٣٣.

([٥٦]) المرجع السابق، ص١٣٤.

ويشير جينو إلى أن الذين يكرهون الشرق الحقيقي ويهاجمونه ويتخذون موقفًا معاديًا له؛ بمن فيهم من نصب نفسه مدافعًا عن الغرب وهو هنري ماس M. Henri Mussis من خلال كتابه "الدفاع عن الغرب"، فإنه يرد قائلًا: "إنه لو كان هناك أناس يكرهون الغرب بقوة إلى هذا الحد، فإن أول ما يجب أن يفعلوه هو أن يحتفظوا بعقائدهم لأنفسهم، وأن كل جهودهم يجب أن تنزع إلى منع وصول الغربيين إليها، مع العلم أن هذا هو أحد المؤاخذات التي توجه إلى الشرقيين. إن الحقيقة رغم ذلك، مختلفة تمامًا، فالممثلون الحقيقيون للعقائد التقليدية لا يحملون أية ضغينة لأحد وليس هناك إلا سبب واحد لتحفظهم، وهو أنهم يرون أنه من غير المفيد– البته– عرض بعض الحقائق لأولئك العاجزين عن فهمها؛ لكنهم لم يرفضوا أبدًا أن يبلغوها إلى الذين يملكون أن المواصفات المطلوبة" مهما كان أصلهم(٥٧).

وإذا كان الأمر قد انتهى بالجمهور الشرقي إلى أن أصبح معاديًا حقًا للغربيين، بعد أن كان– لزمن طويل– ينظر إليهم بلا اكتراث، ويتسائل جينو قائلا: من المسئول عن ذلك؟ هل هي تلك النخبة التي بانغماسها كليًا في التأمل العقلي، تبقى بعيدًا عن الاضطراب الخارجي أو بالأحرى الغربيون أنفسهم هم الذين فعلوا كل ما يلزم لجعل حضورهم بغيضًا ولا يطاق، وعلى افتراض أن الشرقيين الذين أبدوا حتى الآن صبرًا نادرًا الوجود، يريدون أخيرًا أن يكونوا هم الأسياد في بلدهم/ بلدانهم، فمن يمكنه أن يخطر بباله، أن يؤنبهم؟ وينشد الأوربيون– فيما يرى جينو– إلى فرض هيمنتهم في كل مكان، ومنع كل إنسان من أن يعيش وأن يفكر بخلاف ما يعيشون هم أنفسهم ويفكرون، باستثناء حالات هي مرنة جًدا بقدر ما هي نادرة جًدا، فلم يعد يوجد في الغرب سوى صنفين من الناس وكلاهما عديم الأهمية تقريبًا، أما الأول فيضم السذج الذين ينخدعون بتلك الكلمات الضخمة، والذين يؤمنون بأنهم أصحاب رسالة حضارية غير واعين بأنهم أدوات لمادية

(٥٧) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ص١٣٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

همجية قد أنغمسوا كليًّا في مستنقعها، وأما الثاني فيضم الحادقين الذين يستغلون تلك العقلية لإشباع غرائز العنف والجشع لديهم(٥٨).

وفي كل الأحوال، إن ما هو مؤكد هو أن الشرقيين لا يهددون أحدًا ولا يطمحون مطلقًا إلى اجتياح الغرب بشكل أو بآخر؛ إنهم مشغولون جدًّا، حاليًا بالقيام بما يلزم للدفاع عن أنفسهم ضد الاضطهاد الأوربي، الذي يوشك أن يصيبهم حتى في عقلهم، وبالحد الأدنى يبدو الأمر غريبًا أن نرى المعتدين يقدمون أنفسهم كضحايا. والغربيون على دراية تامة بالحضارة الإسلامية بقدر معرفتهم بالحضارة الشرقية، وأهم جزء يجب أن نشدد عليه هنا هو ما يتعلق بالميتافيزيقا إلا أن ما يهمنا هنا يهرب تمامًا منهم(٥٩).

وما كتبه جينو عن أثر الثقافة الإسلامية وأظهر فيه فضل الثقافة الإسلامية على أوربا قوله: "إن كثيرًا من الغربيين لم يدركوا قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية، ولم يفهموا حقيقة ما أخذوه من الحضارة العربية في القرون الماضية، بل ربما لم يدركوا منها شيئًا مطلقًا، وذلك لأن الحقائق التي تلقى إليهم مشوهة وتحط من قيمة الثقافة الإسلامية وتقلل من قدر المدينة العربية". وقد حاول من خلال كتابه "الشرق والغرب"، وهو من الكتب الخالدة التي تجعل كل شرقي يفخر بشرقيته، أن يرد للشرق مقامه ومكانته، مبينًا أصالته في الحضارة التي لها فضل على الغرب، وسموه في التفكير، وإنسانيته التي لا تقاس بها مادية الغرب وفساده وامتصاصه للدماء، وعدوانه الذي لا يقف عند حد، وظلمه المؤسس على المادية والاستغلال، ومظهرًا في كل صفحة من صفحاته نبل الشرقيين وعمقهم وفهمهم للأمور فهمًا صحيحًا يتفق مع الفضيلة ومع أسمى المبادئ الإنسانية(٦٠).

---

(٥٨) المرجع السابق، ص١٤١.

(59) Réne Guénon: East and West, P. 148.

(٦٠) عبدالحليم محمود: قضية التصوف (المدرسة الشاذلية)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٠١، **وانظر ايضًا:** عبدالحليم محمود: أوربا والإسلام، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٨٧.

لقد أشاد جينو بمكانة الشرق بعدما دأب الاستعمار أن يغرس في نفوس الشرقيين أنهم أقل حضارة بل أقل إنسانية من الغربيين... فبين للشرقيين قيمتهم، وأنهم منبع النور والهداية، ومشرق الوحي والإلهام(٦١).

ويستشهد جينو هنا بمثال يؤكد من خلاله أن الغرب يُحور الحقائق ويحرفها، فما هو شائع ومعروف من أن اسبانيا ظلت تحت الحكم الإسلامي عدة قرون؛ بينما لا يذكر التاريخ الغربي قط أن صقلية والجزء الجنوبي لفرنسا كانا تحت الحكم الإسلامي أيضًا، وربما عزا البعض هذا الاهمال من المؤرخين إلى تعصبهم الديني، ومما يدل على مقدار زهو الغربيين وكبريائهم، مما منعهم من إدراك الحقائق الصحيحة، ومقدار ما هم مدينون به للشرق.

والأغرب من ذلك، أنه بينما يعد الاوربيون أنفسهم الورثة المباشرين للمدينة اليونانية القديمة، فإن الحق يدحض زعمهم هذا، إذ أن الواقع المعروف من التاريخ نفسه، يثبت لنا أن علوم اليونان وفلسفتهم لم تنتقل إلى الأوربيين إلا بواسطة المسلمين، وبعبارة أخرى، لم تصل المخلفات العقلية لليونانيين إلى الغرب، إلا بعد أن درسها الشرق. ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون جاهلين بتلك العلوم زمنا طويلا، بل ربما لم يدركها كلية(٦٢).

ويستطرد جينو قائلا: "أما عن العلوم فمن السهل أن نفرق بين العلوم الطبيعية، والعلوم الرياضية، فأما عن الأولى؛ فإننا نعلم علم اليقين أنها انتقلت بكلياتها وجزئياتها إلى أوربا عن طريق الحضارة الإسلامية، فالكيمياء احتفظت دائما باسمها العربي الذي يرجع أصله إلى مصر القديمة، والذي كان له معنى من أعمق المعاني التي لم يعرفها الكيميائيون الحديثون حقيقة".

"أما الرياضيات، فإن ميدانها الواسع لا نرى فيه علوم اليونان فحسب، بل نرى فيه أكبر الأثر للثقافة الإسلامية، مضافا إليها علوم الهند أيضا. أما اليونانيون فقد

---

(٦١) عبدالحليم محمود: قضية التصوف (المدرسة الشاذلية)، ص ٣٠٤.

(٦٢) عبدالحليم محمود: أوربا والإسلام، ص٩٣، **وانظر أيضا** عبدالحليم محمود: قضية التصوف (المدرسة الشاذلية)، ص٣١٠.

(ISSN: 2536 - 9555)

بلغوا درجة الكمال في الهندسة وعلم الأرقام. وإن كان من الشائع أن الأرقام التي يستعملها الأوربيون هي نفس الأرقام التي استعملها العرب، ولو أن مصدرها الأول هو الهند؛ لأن علامات العد التي كان العرب يستعملونها قديما ما هي إلا حروف الهجاء نفسها"(٦٣).

وقد بلغ الأثر الإسلامي للفلسفة في القرون الوسطى مبلغا عظيما لم يستطع أشد خصوم الشرق تعصبا أن ينكر قوته؛ وذلك لأن التراجم اللاتينية لأفلاطون وأرسطو لم تنقل أو تترجم من الأصل اليوناني مباشرة، بل أخذت من الترجمة العربية وأضافوا إليها ما كتبه المعاصرون المسلمون في الفلسفة الإسلامية، ومن أولئك المعاصرين: ابن رشد وابن سينا، وغيرهما(٦٤).

رابعاً: دور النخبة.

لقد أشار جينو أكثر من مرة وفي أكثر من موضع من كتاباته إلى ما يطلق عليه النخبة elite الفكرية، ولكنه يستثني من هؤلاء العلماء والفلاسفة الذين يعدون من أعظم الممثلين في مجالاتهم، فقد يكونون غير مؤهلين للانتماء إلى هذه النخبة؛ وذلك لأنه يرى أن معيار الحكم هنا قد يستند إلى معايير أخرى ولا علاقة للمهنة أو المكانة العلمية فهناك من وجهة نظره أشخاص في بعض بلدان الشرق لا يعرفون القراءة أو الكتابة، لكنهم يصلون إلى مرتبة عالية جدًا وأصبحوا النخبة الفكرية لبلادهم.

وهذه النخبة الفكرية من وجهة نظره ليست موجودة في الغرب، والاستثناءات نادرة جدًا، فالأفراد ليسوا غربيين بشكل كامل؛ لأنهم أفراد يدينون فكريًا بكل شيء للشرق وهم يشبهون الشرقيين في أوربا(٦٥).

وتكمن الصعوبة الأساسية من وجهة نظر جينو في الوصول إلى أولئك المؤهلين بالفعل والذين قد لا يكون لديهم أدنى شك في إمكانياتهم الخاصة، وتكمن

(٦٣) المرجع السابق، ص ٣١٠.

(٦٤) عبدالحليم محمود: أوربا والإسلام، ص٩٥.

(65) Réne Guénon: East and West, trans. Martin Lings, Sophia perennis, 2004, P. 122.

الصعوبة اللاحقة في الاختيار والاستبعاد بين أولئك المؤهلين بالفعل وإبعاد أولئك الذين يعتقدوا أنهم مؤهلون دون أن يكونوا كذلك بالفعل، ويرى جينو أن هناك وسائل من الممكن أن تساعد في تحديد الإمكانيات الفكرية لكل فرد.

وقد أشار جينو أيضًا إلى أن الشرقيين لن يفشلوا في مساعدة النخبة الفكرية في إنجاز مهمتها؛ حيث إنهم في الواقع سيكونون دائما على استعداد لتأسيس العلاقات التي ينبغي أن تكون موجودة، ولكن هذا يفترض مسبقًا وجود نخبة غربية ودستورها الفعلي(٦٦).

فبين حضارات تمنح لنخبتها الإمكانيات وتسمح لهم بتحقيق هذه الإمكانيات؛ بل تسمح لبعض أفرادها بتحقيق ذاتها الكامل، بين مثل هذه الحضارات ذات الموروثات المتواصلة وحضارة نمت وتطورت في المجال المادي البحت، فلا توجد أية عناصر مشتركة. ولا يمكن إلا لفاقدي البصر والبصيرة تفضيل أو ادعاء أن التفوق المادي يعوض المستوى الفكري. ولا يمكن لأحد أن يحسد الغرب على ما آلت إليه حضارته الحديثة؛ إذ إنه على وشك الهلاك إن لم يتدارك في الوقت المناسب. ويحاول العودة إلى أصوله العريقة. وما أكثر الغرب حاجة إلى من يحميه من نفسه ومن اتجاهاته الحالية التي تنجم عنها أهم الأخطار الحقيقية التي تهدده(٦٧).

وكلمة الصفوة أو النخبة من الكلمات التي كثيرا ما استخدمها جينو في كثير من مقالاته، والصفوة التي يعنيها تمثل شيئا لم يعد موجودا في الغرب، وإن كان في نظره أن إعادة تكوين هذه الصفوة من أول الشروط الأساسية للقيام بعملية تصويب فكري وإصلاح تراثي، ويرى جينو أن هذه الكلمة قد اسيء استخدامها كثيرا، وأنه قد تم استخدامها بشكل دارج للدلالة على مفاهيم لا علاقة لها بما تعنيه

(66) Ibid. P. 123-124.
(67) The Essential Réne Guénon (Metaphysics, Tradition, and The Crisis of Modernity), ed. John Herlihy, indroduction by Martin Lings, world wisdom, 2009, P. 91.
وانظر أيضًا زينب عبد العزيز: مقالات من رينيه جينو، ص٢١.

(ISSN: 2536 - 9555)

أصلا... فهو يرى أن هذه الكلمة ترتبط بصورة ما، كلفظ تقني، بنفس عمليه الإعداد الصوفي، ولا دخل للعوام فيها؛ لأنهم ـ في رأيه ـ غير قادرين على فهمها ويحرفونها عن معناها الأصلي، بل يستخدمونها بطريقة غير شرعية، وذلك منذ أن فقد الغرب الصفوة الحقيقية، وابتعدوا عن المجال الفكري(٦٨).

ولهذا يفضل جينو عبارة "الصفوة الفكرية"، وإن كان يرى فيها إطنابا لا لزوم له، فالصفوة لا يمكن إلا أن تكون فكرية أو روحية، بما أن هاتين الكلمتين تتساويان في المعنى. وما يرمي إليه جينو بعبارة الصفوة، كما يقول يمثل مجمل أولئك الذين يمتلكون الصفات المطلوبة للإعداد الصوفي، والذين هم بطبيعة الحال أقلية وسط البشر.

وقد يعترض البعض بأن هذه الصفوة توجد بالفعل دائما وإن كان عددها قليلا، فذلك لا يمنع من وجودها، فالعدد لا قيمة له، ففي كل ما يتعلق بالصفوة لا قيمة إلا للنوع وليس الكم. ويجيب جينو على هذا الاعتراض بأنه صواب، لكنهم لا يمثلون في هذه الحالة إلا صفوة نظرية، أو إن أمكن القول، إمكانية وجود النخبة، فلكي يتم تكوينها لابد من أن يدرك أعضاؤها صفاءهم بأنفسهم، كما يجب الأخذ في الحسبان ان الصفات الإعدادية من الناحية التقنية ليست جميعها من المستوى الفكري، وإنما تتضمن ايضا العناصر الأخرى المكونة للإنسان(٦٩).

ويقول جينو إنه لو أن كل الناس كانوا يفهمون ما هو العالم الحديث حقيقة، فإن هذا الأخير سينتهي حتمًا وجوده فورًا، لأن وجوده، هو مثل وجود الجهل، ووجود كل شيءٍ محدودٍ، سلبي محض. وهذا التغيير من وجهة نظره سيتحقق هكذا دون حدوث أية كارثة، إلا أنه من الصعب جدًّا التسليم بأن الكل يمكن أن يصلوا إلى هذه المعرفة، والتي أغلب الناس هم قطعًا أبعد عنها مما كانوا في أي زمن مضى؛ ويكفي فقط لهذا وجود نخبة قليلة العدد بشرط أن تكون مكونة بشكل

(٦٨) رينيه جينو: ازمة العالم الحديث، ص١٤٥.
(٦٩) المرجع السابق، ص١٤٧.

جيد لكي تقود الجماهير والسؤال الذي يثيره جينو هنا مؤداه، هل ما زال، بعد ممكنًا تكوين هذه النخبة في الغرب[٧٠]؟

وأيًّا ما كان الشكل الذي يتخذه التغبير الذي يُمثل ما يمكن أن نسميه العبور من عالم إلى آخر، سواء أطالت دورة كل عالم منها أم قصرت، فإن هذا التغيير، حتى وإن اتخذ مظهر قطيعة مباغتة لا يستلزم أبدًا انقطاعًا تامًا؛ لأن هناك ترابطًا سببيًا يصل جميع الدورات ببعضها. وما أن تصل النخبة إلى التِّشكُّل، فإنه سيكون بإمكانها الإعداد للتغيير، إلا أن لها مهمة أخرى، هي المساهمة في حفظ ما يجب أن يبقى موجودًا في العالم الحالي ليستخدم في بناء عالم الغد[٧١].

ومن البديهي– فيما يرى جينو– عدم انتظار اكتمال الهبوط حتى يستعد للصعود لمجرد أنه يعلم أن هذا الصعود سوف يحصل بالضرورة، حتى وإن لم يكن بالإمكان تفادي الهبوط، قبل ذلك، إلى كارثة ما؛ وهكذا، في جميع الحالات، لن يذهب العمل المنجز سدى: لن يكون ذلك ممكنًا إلا في ما يخص المكاسب التي ستجنيها النخبة لنفسها، لكن لن يكون الأمر كذلك بالنسبة للنتائج الآجلة للإنسانية جمعاء[٧٢].

ويرى جينو أنه ما زالت النخبة موجودة في الحضارات الشرقية، ومع التسليم بحقيقة أنها تتضاءل فيها أكثر فأكثر أمام الاجتياح الحديث، فإنها رغم ذلك ستبقى حتى النهاية؛ لأنه من الضروري أن يكون الأمر هكذا لحماية وديعة التقليد الذي يجب ألا ينقرض ولضمان نقل كل ما يجب حفظه[٧٣].

وفي الغرب– على االنقيض من ذلك– لم تعد النخبة موجودة حاليًا؛ يمكننا إذًا أن نتساءل عما إذا كانت سوف تتشكل فيه من جديد قبل نهاية عصرنا هذا، أي

---

(٧٠) المرجع السابق، ص ١٤٦، ١٤٧.

(٧١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٧٢) المرجع السابق، ص١٤٨.

(٧٣) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ص ١٤٨.

(ISSN: 2536 - 9555)

عما إذا ستكون للعالم الغربي– رغم انحرافه– مساهمة في هذا الحفظ، وفي هذا النقل، إذا لم يكن الأمر كذلك، فإن النتيجة هي أن الحضارة ستنقرض بأكملها؛ لأنه لن يبق فيها أي عنصر صالح للاستفادة منه للمستقبل، بما أنه سوف يكون قد اختفي كل أثر للعقل التقليدي.

ويستطرد جينو قائلًا إنه يوجد الآن في الغرب عدد من الناس– أكبر مما يُعتقد– بدءوا في إدراك ما ينقص حضارتهم، وإذا ما كانوا قد اختزلوا بطموحات مبهمة وبأبحاث عقيمة في أغلب الأحيان، بل– وإن حصل أنهم تأهوا تمامًا– فذلك لأنهم يفتقدون معطيات حقيقية لا يمكن أن يعوضها شيء، ولأنه لا توجد أية منظمة يمكنها أن تُؤمِّن لهم الإرشاد العقائدي الضروري(٧٤).

ولا يتكلم جينو هنا عن أولئك الذين تمكنوا من إيجاد هذا الإرشاد في التقاليد الشرقية، والذين هم بالتالي– عقليًّا– خارج العالم الغربي؛ إن هؤلاء، الذين لا يمثلون، مع العلم سوى حالة استثنائية، لا يمكنهم– البتة– أن يكونوا جزءًا متممًا من نخبة غربية، إنهم في الواقع، امتداد للنخب الشرقية، امتداد يمكنه أن يتحول إلى عنصر وصل بين هذه الأخيرة وبين النخب الغربية، يوم تصل هذه الأخيرة إلى التشكُّل؛ لكنها– وبحسب تعريفها– لا يمكنها أن تتشكل إلا بمبادرة غربية بالكامل، وهنا بالذات تكمن المشكلة كلُّها(٧٥).

وهذه المبادرة لن تكون قابلة للتحقق إلا بإحدى طريقتين: إما أن الغرب سيجد لها الوسائل في ذاته من خلال عودة مباشرة إلى تقليده الخاص، عودة ينبغي أن تكون بمثابة يقظة تلقائية للإمكانيات الكامنة، أو أن بعض العناصر الغربية ستنجز مهمة الإحياء تلك بالاستعانة بمعرفة ما بالعقائد الشرقية، معرفة لا يمكنها– مع ذلك– أن تكون مباشرة بالنسبة إليهم؛ لأن عليهم أن يظلوا غربيين، لكنها معرفة يمكن تحصيلها بضرب من التأثير من الدرجة الثانية، يمارس عبر وسطاء مثل أولئك الذين كنا قد أشرنا إليهم منذ قليل. إن الفرضية الأولى مستبعدة

(٧٤) المرجع السابق، ص١٤٩.
(٧٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

جدًّا لأنها تستوجب أن يوجد في الغرب عنصر على الأقل، قد تم فيه حفظ العقل التقليدي كليًّا، وقد ذكر جينو سابقًا: إن هذا الوجود، يبدو لنا مشكوكًا فيه(٧٦).

وفي هذه الحالة، سيكون من المفيد– رغم أن هذا لا يمثل ضرورة قصوى ـ أن تتمكن النخبة في طور التشكل، من أن نتخذ لها مرتكزًا في منظمة عربية لها في الأصل وجود فعلي، والحال أنه يبدو جليًّا أنه لم يعد في الغرب، إلا منظمة واحدة تملك طابعًا تقليديًا وتحفظ عقيدة قابلة لأن تزود العمل المعنى بقاعدة مناسبة: إنها الكنيسة الكاثوليكية، يكفي أن يعاد إليها المعنى العميق الذي تمتلكه حقيقة في ذاتها. ولكن الذي يبدو أن ممثليها الحاليين لم يعودوا يدركون هذا المعنى(٧٧).

والأمر يتعلق عند جينو بإعادة بناء كل ما كان موجودًا قبل الانحراف الحديث، مع القيام بأعمال التكييف الضرورية لظروف عصر آخر، وإذا اندهش البعض من هذه الفكرة، أو احتجوا عليها فذلك لأنهم هم أنفسهم، بلا علم منهم، أو رغمًا عنهم، مشربون بالعقلية الحديثة إلى درجة أنهم أضاعوا كليًّا معنى تراث، ولم يعودوا يحتفظون منه سوى بالقشرة.

وبالتالي يرى جينو أنه وراء تفاهم الفوضى التي تعم أكثر فأكثر، فإن هناك ما يدعو لاستحضار القوى الروحية التي ظلت تمارس، فعلًا في العالم الخارجي، في الغرب تمامًا كما في الشرق، ولا يرى جينو من ذلك، من ناحية الغرب، إلا الكنيسة الكاثوليكية إذا استطاعت هذه الأخيرة أن تتواصل(٧٨).

ويتسائل جينو قائلا: ماذا عن النخبة؟ لكي تتشكل، إلا أن تعول على جهود أولئك المؤهلين لما يملكون من قدرة عقلية، خارج كل وسط محدد، وتعول كذلك على دعم الشرق، وهكذا سيصبح عملها أصعب، ولا يمكن لفعلها أن يؤثر إلا في أمد أطول، بما أنه يتوجب عليها أن توفر بنفسها كل الوسائل الضرورية لذلك(٧٩).

---

(٧٦) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ص ص١٤٩–١٥٠.

(٧٧) المرجع السابق، ص١٥٠.

(٧٨) المرجع السابق، ص١٥١.

(٧٩) المرجع السابق، ص١٥٢.

(ISSN: 2536 - 9555)

ويرى أن أولئك الذين سينجحون في تذليل جميع العقبات، وفي التغلب على عداوة فكر معارض لكل روحية، سيكونون بلاشك قليلي العدد؛ ويؤكد جينو مرة أخرى، ليس العدد هو ما يهم؛؛ لأنه يرى أننا هنا في ميدان قوانينه تبدو مغايرة لقوانين المادة، فلا مجال إذًا لليأس، ولا أمل للوصول إلى نتيجة ملموسة قبل أن يغرق العالم الحديث في خضم كارثة ما، ولن يكون هذا الأمر أيضًا سببًا وجيهًا لعدم القيام بعمل يتجاوز تأثيره الحقيقي العصر الحالي. ويرى أن أولئك الذين يستهويهم الاستسلام للإحباط عليهم أن يكونوا واثقين بأن لا شيء مما قد أنجز في هذا الإطار يمكن أن يصنع، وبأن الفوضى والظلام لا يمكنها أن تنتصر إلا في الظاهر وبشكل مؤقت تمامًا، ويجب أن نسعى إلى إرساء التوازن العام، وأن يكون شعارهم: "الحقيقة تغلب كل شيء"(٨٠).

وعندما يكون الغرب في حوزة حضارة منتظمة وتقليدية، ستكون النخبة ملزمة بالقيام بدورها بشكل أكبر، ستكون حينها الوسيلة التي ستتواصل بها الحضارة الغربية بشكل دائم مع الحضارات الأخرى(٨١). ويمكن الإشارة هنا إلى أن هذه النخبة لا تعني مجموعة من المختصين أو العلماء، فأولئك الذين يشير إليهم جينو ليسوا من المثقفين؛ ولكنهم ـ في رأيه ـ رجال ذوو شخصيات متفوقة ولديهم معرفة بالميتافيزيقا.

خامساً: هل يلتقي الشرق والغرب؟

إن إحدى السمات الخاصة بالعالم الحديث هي الانقسام بين الشرق والغرب، فهناك فيما يرى جينو حضارات مختلفة ومتعددة تطورت كل منها بطريقتها الخاصة وباتجاه يتلاءم مع استعدادات هذا الشعب أو ذلك العرق؟ لكن التمييز فيما يرى جينو لا يعني تعارضًا، فقد يكون هناك نوع من التكافؤ بين حضارات مختلفة، فكل هذه الحضارات ترتكز في الأساس على المبادئ الأساسية نفسها

(٨٠) المرجع السابق، ص١٥٧.

(81) Réne Guénon: The East and West, P. 146.

التي تمثلها فقط تطبيقات مشروطة بظروف مختلفة، تلك هى حالة كل الحضارات التي يطلق عليها جينو حضارات عادية أو تراثية، فليس بينها أي تعارض جوهري، وأية اختلافات يمكن أن توجد، ليست سوى اختلافات ظاهرية أو سطحية(٨٢).

وقد ذهب البعض- في رأى جينو- إلى حد رفض أن يكون تقسيم الإنسانية نفسه قسمين: شرقًا وغربًا مطابقًا للواقع، لكن الأمر، على الأقل بالنسبة للعصر الحالي، لا يبدو أنه يمكن أن يكون موضع شك بشكل جدي. أولًا- إن وجود حضارة غربية مشتركة بين أوربا وأمريكا، هو واقع يجب أن يكون العالم كله متفقًا حوله، مهما كان الحكم الذي يمكن أن نطلقه على قيمة هذه الحضارة(٨٣).

كما تبدو الأمور بالنسبة للشرق- في رأيه- أكثر تعقيدًا بسبب عدم وجود حضارة واحدة عمليًا بل عدة حضارات شرقية؛ لكن يكفي أنها قد تمتلك بعض السمات المشتركة، وهي تلك التي تميز ما يطلق عليه جينو حضارة "تراثية"، وأن هذه السمات لا توجد في الحضارة الغربية لكي يكون التمييز وحتى التعارض بين الشرق والغرب مبررًا بشكل كامل(٨٤).

وهذا . في رأيه . الحال في الواقع، والطابع التقليدي هو بالفعل مشترك بين كل الحضارات الشرقية، وهذا التقسيم مع ذلك هو صحيح إذا تمسكنا بالخطوط الكبرى: الشرق الأقصى ممثل بشكل أساسي في الحضارة الصينية، والشرق الأوسط في الحضارة الهندوسية، والشرق الأدنى في الحضارة الإسلامية. ويؤكد جينو ضرورة النظر إلى حضارة الشرق الأدنى، أو بالأحرى الحضارة الإسلامية على أنها وسيط بين الشرق والغرب، وأن كثيرًا من سماتها تقربها مما كانت عليه الحضارة الغربية في العصر الوسيط، أما علاقتها بالغرب الحديث، فتبدو في رأيه

(٨٢) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ص٣٣.
(٨٣) المرجع السابق، ص٣٤.
(٨٤) المرجع السابق، ص٣٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

على تناقض معها مثلها مثل الحضارات الشرقية التي يجب أن تكون مشتركة معها في هذه النظرة(٨٥).

وعلى هذا فإن التعارض بين الشرق والغرب ليس له معنى إلا عندما يتعلق الأمر بالغرب الحديث؛ لأن هذا التعارض هو تعارض عقلي أكثر من كونه تعارضًا بين كيانين جغرافيين متفاوتي التحديد(٨٦). وهو يرى أن عدم التركيز على الحضارة الصينية ليس فقط لأنها بعيدة تمامًا عن الغرب، ولكن أيضًا لأن المبادئ والأشكال التي تعتمد عليها في التعبير عن مذاهبها هي أيضًا بعيدة تمامًا عن العقلية الغربية(٨٧).

ويوضح جينو الفرق بين الشرق والغرب في المجال الغيبي موضحًا أن الميتافيزيقا واحدة، فهي لا شرقية ولا غربية، مثلها مثل الحقيقة الخالصة، إلا أن ما يود توضيحه هو اختلاف مفهومها أو اختلاف تناولها في كل من الشرق والغرب. كما أنَّ تحديده بعبارة شرقية يرجع إلى أن الغرب، وخاصة في الظروف الغارقة في المادية التي يوجد فيها، قد ابتعد عن ذلك المجال المهم ونسى كل ما يتعلق به من تواصل تراثي، بينما الشرق ما زال يتعامل معه على أنه مجال المعرفة الحقيقية(٨٨).

ويكمن الفرق الشاسع بين الغرب الحديث والشرق في: أن الشرق قد حافظ على تراثه وتقاليده المتوارثة بكل ما تتضمنه من مجالات، بينما الغرب الحديث، فقد نسى أو أضاع هذا التراث المتوارث أو بقول آخر إننا نجد في الشرق تواصل للمعرفة الغيبية، بينما لا نجد في الغرب الحديث سوى جهل مطبق بكل ما يتعلق بهذا المجال(٨٩).

---

(٨٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٨٦) المرجع السابق، ص٣٥.

(87) Réne Guénon: East and West, P. 147.

(٨٨) زينب عبد العزيز: مقالات من رينيه جينو، ص١٧.

(٨٩) المرجع السابق، ص٢١.

ومن المهم عدم الخلط بين هذا الموقف المتجه نحو الشرق كنوع من العاطفة التي كثيرًا ما يروج لها في الوقت الحاضر. فكما أشار كومارسوامي أن جينو يريد من الغرب أن يتحول إلى الميتافيزيقا الشرقية، ليس لأنها شرقية؛ ولكن لأنها تمثل في رأيه الميتافيزيقا الأصيلة، وفي ضوء هذا يرى جينو أنه ينبغي ألا تختلف الميتافيزيقا الغربية عن الميتافيزيقا الشرقية؛ لأن الميتافيزيقا واحدة ولا يمكن أن تختلف، لأن اختلافها ينفي تمامًا كونها ميتافيزيقا في الأساس(٩٠).

ولو أن جينو أراد أن يتجه الغرب أو أن يتحول إلى الميتافيزيقا الشرقية، فإن هذا ليس لأن الميتافيزيقا شرقية، ولكن بسبب الميتافيزيقا نفسها؛ فإذا اختلفت الميتافيزيقا الشرقية عن الميتافيزيقا الغربية– حيث تختلف الفلسفة الحقيقية عن ما يسمى غالبًا في جامعاتنا الحديثة– فإن إحداهما لن تكون ميتافيزيقا. وهذا لأن هذه الميتافيزيقا لا تزال تعيش كقوة حية في المجتمعات الشرقية(٩١).

ويتساءل جينو هل حقًّا هذا يمثل بداية النهاية للحضارة الحديثة؟ وهل سيكون الغرب قادرًا على استعادة السيطرة على نفسه في الوقت المناسب؟ فالقليل مَن ينكر أننا نواجه إمكانية تفكك كامل للثقافة، وإننا في حالة حرب مع أنفسنا، وبالتالي في حالة حرب مع بعضنا بعضًا، فالرجل الغربي يبدو شخصًا غير متوازن، والسؤال: هل يمكن فعلًا أن يتعافي؟(٩٢)

ويبرهن جينو على أن العمل الذي يتم بذله هنا يجب أن يتم في ميادين الميتافيزيقا والدين وأنه ينبغي أن يتم على أعلى المستويات الفكرية؛ حيث يمكن التوصل إلى اتفاق على المبادئ الأولى وبصرف النظر عن أية مصلحة ويجب على النخبة أن تقود العمل.

---

(90) Harry old meadow: Réne Guénon, P. 3- 4.
(91) The essential Ananda K. Coomarswamy Eastern Wisdom and western Knowledge, ed. Rama P. Coomaraswamy China, World Wisdom, 2004, P. 90-91.
(92) Ibid. P. 91.

(ISSN: 2536 - 9555)

وهنا يتساءل جينو عن إمكانية التجديد إن وجدت التي يمكن تصورها بالنسبة للغرب، ولا توجد الإمكانية إلا في حالة العودة إلى المبادئ الأولى وطرق المعيشة الطبيعية العادية التي تنقل من تطبيق المبادئ الأولى– وكما هو الحال في الشرق– فإن هذه الأمور لا زالت موجودة، وعلى هذا يجب على الغرب– في رأيه– أن يأخذ زمام المبادرة، ويجب أن يتهيأ الغرب للذهاب نحو الشرق أي يجب عودة الغرب إلى الحضارة التراثية(٩٣).

ويرى جينو أنه لا تزال العصور الوسطى في الغرب تقدم مثالًا على الحضارة التراثية، والمظهر المباشر للحضارة التراثية هو الحضارة الحديثة سواء الغربية، أم الشرقية، وهي تتميز بالأفكار المنظمة لكل شيء متفوق على الإنسان– سواء أكان فردًا أم جماعة(٩٤).

والنقيض الحقيقي ليس بين الشرق والغرب، ولكن بين الحضارة التراثية والحضارة الحديثة، وبالتالي فهى ليست حضارة جغرافية ولا تاريخية؛ ولكنها ذات طابع مورفولوجي Typological(٩٥).

وفي رأى جينو نجد أن الوضع في الشرق مختلف، ولا يزال الشرق يحافظ على الجوانب الحية للحضارة التراثية التي اختفت في نواح أخرى. ويعتقد جينو أنه لا يمكن للعالم الحديث أن يتغلب على الأزمة التي يعاني منها بالعودة إلى نمط تراثي للحضارة، وبما أن الغرب قد فقد منذ فترة طويلة ما يربطه بالتراث، فلا يزال هناك أمل للعودة إلى الحضارة الأصلية(٩٦).

ويؤكد جينو في ضوء ذلك أهمية اتصال النخبة الغربية بممثلي الروح التراثية في الشرق؛ وهذا في رأيه الضمانة الوحيدة لإنقاذ الغرب مما هو فيه، فيدعو

---

(93) Ibid. P. 91.
(94) J. Evola: Réne Guénon (East and West), Vol. 4, No. 4 (January. 1964), PP. 255-258 http://www.jstor.org/stable/29158099.
(95) Réne Guénon: East and West, P. 255.
(96) Ibid. P. 255-256.

الغرب هنا إلى ضرورة البحث عن تقاليده الخاصة، وتشكيل جو مناسب لإحياء التراث الغربي وتدريجيًّا سيأتي التفاهم بين الشرق والغرب(٩٧).

ويبدو واضحًا هنا أن هدف جينو الأساسي يكمن في استعادة تقاليد الغرب سواء أكان ذلك عن طريق عودة الغرب إلى تقاليده الأصلية أم من خلال إحياء هذه التقاليد، وعلى مدار عشرين عامًا شن حربًا متواصلة ضد الأفكار المناهضة للتراثية، ولا يتهاون جينو في أن يؤكد أيمًّا تأكيد على أن المخزون المتعلق بالتراث الأولى قد تحول إلى الشرق، وفيه توجد الآن الأشكال المذهبية التي انطلقت منه مباشرة، يلي ذلك أنه لم يعد للعقل الحقيقي التراثي من ممثلين حقيقيين إلا في الشرق(٩٨).

ويرى جينو أن الخطوة الأولى نحو إيقاظ الفكر الغربي من سباته يجب أن تكون دراسة مذاهب الشرق دراسة عميقة ودقيقة؛ وليست مجرد دراسة سطحية على طريقة المستشرقين، ولهذا يرى جينو ضرورة أن نركز على الهند أكثر من الصين على فرض أنها الحضارة الأقرب إلى الغرب، وهي ليست بعيدة عن الغرب في أمور كثيرة(٩٩).

لم يكن يسعى جينو من وراء ذلك القول: إن كل العقائد التراثية كانت ذات أصل شرقي، وأن العصور الغربية القديمة نفسها قد تلقت تقاليدها من الشرق؛ لسبب بسيط وهو أن جينو يعلم جيدًا أن هذا خطأ؛ وذلك لأن المعطيات التراثية تتعارض بوضوح مع تأكيد من هذا النوع؛ لأنه يرى أن التراث الأولى للدورة الحالية جاء من الأقاليم الشمالية(١٠٠).

ويفترض جينو قائلًا: "إنه حتى ولو افترضنا أن الغرب عاد، إلى تقاليده، فإن تناقضه مع الشرق لن يكون له وجود، لأن هذا التناقض ما كان ليوجد إلا بسبب

---

(97) Ibid. P. 256.
(98) Paul Chacornac: The simple life of Réne Guénon, P.2.
(99) Réne Gouénon: East and West, P. 147-148.
(١٠٠) رينو جينو: أزمة العالم الحديث، ص٣٦.

(ISSN: 2536 - 9555)

الانحراف الغربي، وهو في واقع الأمر تعارض عقلي أو هو تناقض بين العقل التراثي والعقل المعادي له؛ لأن العودة إلى التراث سيكون من بين نتائجها الأولية إعادة التفاهم مع الشرق بصورة مباشرة، كما هو حاصل بين كل الحضارات التي بينها مبادئ متشابهة أو متساوية وفقط بين هذه الحضارات؛ لأن هذه المبادئ هي التي تشكل الأرضية الوحيدة التي يجري فوقها وحدها هذا التفاهم بشكل صحيح"(١٠١).

ويبدو واضحًا هنا أن جينو يؤكد ضرورة إقناع الغرب بالعودة إلى هذه الحضارة التراثية، كما كانت موجودة في القرون الوسطى.

ويشير جينو إلى أنَّ وهم الإنسان بكونه "معاديًا للغرب" إذا جاز التعبير، صار يعني قطعًا أنه معاد للحداثة؛ لأن ذلك قد يصلح كمحاولة لإنقاذ الغرب من الخلل الذي يعاني منه. فلدى الغرب مصلحة كبرى في الدفاع عن نفسه ضد ميوله الخاصة، التي قد يؤدي تمسكه بها– بالتأكيد– إلى الخراب والدمار؛ وعلى هذا فإن ما يجب طرحه– فيما يرى جينو– هو ضرورة إصلاح الغرب، وهذا الإصلاح إذا ما تم فستكون نتيجته الطبيعية تقاربًا مع الشرق(١٠٢).

ويرى جينو أن الحضارة الحديثة تعاني من نقص في المبادئ؛ وتعاني من هذا النقص في كل المجالات؛ وبالتالي فإنها حضارة بلا مبادئ، أو أنها حضارة ذات مبادئ سلبية فقط. ويرى جينو أن الحضارة الإسلامية هى الحضارة التي يمكن أن تقترب كثيرًا إلى الحضارة الأوربية في القرون الوسطى. فضلًا عن وجود أوجه شبه يجب أن تؤخذ في الحسبان(١٠٣).

وتبدو حضارة الغرب الحديث أنها نوع من الخروج عن المألوف من بين عدد كبير من الحضارات، وهذه الحضارة هى الحضارة الوحيدة التي تطورت على الأقل ماديًّا، وهذا التطور الذي رافق عصر النهضة قد رافقه تراجع فكري مقابل،

(١٠١) المرجع السابق، ص٤٣.

(١٠٢) المرجع السابق، ص٤٦.

(103) Réne Guénon: East and West, P. 116.

وبالتالي يبدو إزدراءهم ليس فقط للحضارة الشرقية، ولكن أيضًا للعصور الوسطى في أوربا، وفي ضوء هذا يؤكد جينو أن ما يطلق عليه الغربيون الحضارة، فإن الآخرون يسمونه البربرية والهمجية، وما يسميه الغربيون بالتقدم ليس سوى التغير وعدم الاستقرار، والحاجة إلى التغيير سمة من سمات العصر الحديث(١٠٤).

ثم يجب أن يكون هناك استعادة للفكر الحقيقي الذي فقده الغرب والذي محل دراسة الفكر الشرقي، والذي إذا تم الاهتمام به كما يجب أن يكون فإنه يمكن أن يساعد كثيرًا على التعافي، باختصار فإنه لابد من إصلاح النظرة الغربية تمامًا، وهذا الإصلاح في البداية لا يمكن أن يتحقق إلا في نخبة محدودة، إن لم يكن هناك حاجة إلى المزيد من أجل أن تؤتي ثمارها عاجلًا أم آجلًا، وذلك بسبب التأثير الذي لن تفشل هذه النخبة في ممارسته حتى دون السعي صراحة إلى القيام بذلك على العالم الغربي بأسره(١٠٥).

وسيكون هذا الأرجح، الوسيلة الوحيدة في رأي جينو لإنقاذ الغرب من الأخطار الحقيقية التي يواجهها مع المحافظة على الحضارة الغربية بمعنى أن كل شيء فيها قد يكون في بعض النواحي مفيدًا أو متوافقًا مع الحالة العادية كفكرة، وعلاوة على ذلك في مثل هذا الاحتمال؛ فإن النخبة إذا كانت بالفعل فكرية بالمعنى الحقيقي للكلمة ستتمكن وحدها من منع العودة إلى الوحشية والبربرية، وإذا كان لدى هذه النخبة الوقت الكافي لتغيير هذه العقلية، فإنه من شأن هذه النخبة أن تنقذ الغرب من الاضطرار إلى استيعابها من قبل الحضارات الأخرى؛ ولكنها قد تؤدي إلى بعض العيوب بسبب الثوارث العرقية(١٠٦).

والحضارة بالمعنى الذي يفهمه جينو ستكون قادرة على تطوير نفسها دون أن تشكل خطرًا على الحضارات الأخرى، وقد كان جينو واضحًا تمامًا في موقفه هنا عندما أكد أنه لا يهاجم الغرب في حد ذاته، ولكنه فقط يهاجم النظرة الحديثة التي

(104) Ibid, P. 11.
(105) Ibid, P. 80.
(106) Réne Guénon: East and West, P. 80.

(ISSN: 2536 - 9555)

يرى فيها سبب الخراب الفكري الغربي. فما هو مرغوب فيه– في رأيه– هو إعادة بناء حضارة غربية حقيقية، ولكن على أسس طبيعية؛ لأن تنوع الحضارات عنده كان النتيجة الطبيعية للخلافات العقلية التي تميز الأجناس(١٠٧).

والصحيح عند جينو أنه يوجد اتجاهان يهيمن إحداهما بالضرورة، بحيث يكون توسع إحداهما قائمًا على حساب الآخر، لمجرد أن النشاط البشري، بمفهومه العام لا يمكن أن يمارس في كل المجالات وبكل الاتجاهات في آن. إن هذا ما يعطي ـ في رأيه ـ مظهَر تعارض، والقول بالتعارض أو بالتباين يعني أيضًا القول بعدم الانسجام أو الخلل، أي بشيء، لا يمكن أن يوجد إلا من وجهة نظر نسبية ومحدودة(١٠٨).

وإذا نظرنا إلى أهم وجوه التعارض الموجودة حاليًا بين العقل الشرقي والعقل الغربي الذي هو في حقيقة الأمر تعارض بين العقل التراثي والعقل المعادي للتراث يبدو كتعارض بين التأمل والفعل كضدين بالمعنى الخاص للكلمة. فالتعارض موجود في الظواهر، ولا اعتراض على ذلك، وإذا لم يتم السيطرة عليه سيتحول إلى تعارض كامل بينهما؛ إلا أن الأمر لا يمكن أن يكون كذلك في واقع الأمر، فلا يوجد شعبٌ أو فردٌ يكون تأمليًا بشكل حصري أو فاعلًا بشكل حصري(١٠٩).

ويمكننا القول ـ فيما يرى جينو ـ إن التناقض بين الشرق والغرب في الحالة الراهنة، يتمثل في كون الشرقي يرفع من شأن التأمل على الفعل، في حين يؤكد الغربي بالمقابل تفوق الفعل على التأمل. وهنا، لم يعد الأمر يعني كما لو كنا نتكلم فقط عن تعارض أو عن تكامل، وبالتالي عن علاقة تنسيق بين الطرفين، ولم يعد يعني أيضًا وجهتي نظر يمكن لكل واحدة منهما أن تجد تبريرها وقبولها، فعلاقة التبعية لا رجعة عنها، فالتصوران متضادان في الواقع، يستبعد الواحد

(**107**) Ibid. P. 80, 81.

(١٠٨) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ص٤٩.

(١٠٩) المرجع السابق، ص٤٩–٥٠.

منهما الآخر، مما يعني حتمًا أنه بمجرد قبولنا بوجود تبعية فعلية سيظهر أن احدهما صحيح والآخر خطأ(١١٠).

يعتبر جينو التأمل كممثل بامتياز للعقل الشرقي. وتجمع العقائد الشرقية وكذلك القديمة على تأكيد أن التأمل أعلى شأنًا من الفعل، كما أن الثابت أسمى من المتغير. إن الفعل الذي هو ليس سوى تعديل يتصل بمبدأ أبعد من مجالة الطارئ (الحادث)، هو ليس سوى وهم محض، وهذا المبدأ الذي يستمد منه الفعل كل واقعة وجوده لا يمكن أن يوجد إلا في التأمل، أو بمعنى أدق في المعرفة، لأن هذين المصطلحين مترادفان، أو على الأقل متطابقان. وتلعب المعرفة تجاه الفعل دورًا يشبه الدور الذي يلعبه المحرك الذي لا يتحرك عند أرسطو(١١١).

ويبالغ العقل الغربي الحديث في أنه لا يكتفي فقط بتأكيد هيمنة الفعل، بل وصل إلى جعله شغله الشاغل، بل وإلى نزع أية قيمة للتأمل الذي يحمل هذا العقل أو يتجاهل طبيعته الحقيقية. وعلى الجانب الآخر نجد العقائد الشرقية مع تأكيدها الواضح هيمنة التأمل وتساميه على الفعل، فهى لا تنفي عن الآخر مكانته الشرقية، بل تعترف بطيب خاطر بأهميته في نسق الأحداث الإنسانية(١١٢).

وعلى هذا فإن أهم ما يميز العصر الحديث: الحاجة إلى اضطراب لا يتوافق، وإلى تغيير مستمر، ومن ثم عدم القدرة على الاستنتاج واستحالة أي تركيز، مما يصدم كثيرًا الشرقيين. وتلك نتيجة طبيعية ومحتومة لجعل كل شيء ماديًا بصورة متصاعدة؛ لأن المادة هى بحد ذاتها كثرة وانقسام؛ وبالتالي فإن كل ما ينبثق عنها لا يمكن أن يولد إلا النزاعات والصراعات بين الشعوب كما بين الأفراد. وبالتالي فكلما انغمسنا في المادة أكثر، تراكمت أكثر عوامل الانقسام والتضاد وتعاظمت، وعلى النقيض كلما ارتفعنا نحو الروحانية، اقتربنا من الوحدة التي لا يمكن أن تتحقق إلا بالوعي بالمبادئ العامة(١١٣).

---

(١١٠) المرجع السابق، ص٥٢.

(111) Réne Guénon: Spiritual authority and temporal power, p.26.

(112) Ibid. p.27.

(١١٣) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ٥٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

وعند النظر في فكرة تجديد العلاقات الفكرية بين الشرق والغرب، فإننا نجد أن سمات الحداثة والتجديد ما هي إلا حاجة إلى التغيير والأصالة، وفكرة التجديد هذه قد حدثت بالفعل لدى الكثير من الناس في الغرب، وهذا لا يمكن أن يقلل من قيمتها أو أهميتها. بل كانت النتيجة الحتمية لتقدم الغرب، والغرب وحده الذي يتحمل المسئولية؛ لأن الشرق في جوهره لم يتغير مطلقًا وكل المحاولات التي تؤمن بهذه الحقيقة كان محكومًا عليها بالفشل؛ لأن الشرق ليس لديه رغبة في أن يغير اليوم ما كان عليه منذ قرون(١١٤).

ويشير جينو إلى أنه من الصعب الفصل بين مفهوم "التقدم المادي" و"التقدم المعنوي" في حين يرتبط معاصرونا من وجهة نظر جينو بالتقدم المعنوي والاعتراض هنا ليس على وجود التقدم المادي؛ ولكن على أهميته فقط ولو شعر الشرقيون بأنهم ملزمون بقبول التقدم المادي إلى حد ما، فإن هذا القبول لن يرق أبدًا إلى إحداث تغيير جذري؛ لأنهم يعبرون عن استيائهم الشديد من أولئك الذين أجبروهم على الخضوع لهذا التغيير(١١٥). ويبدو أن الغربيين المحدثين عاجزون عن تخليص أنفسهم من المادة، وعندما يحاولون القيام بذلك لا يمكنهم بأي حال من الأحوال الابتعاد عن مجال الحياة.

ويشير جينو هنا أيضًا إلى ضرورة التسليم بأن الغرب لا يملك بالفعل ما يعلمه للشرق، إلا في المجال المادي فقط؛ حيث يكرر جينو أن الشرق لا يجد أية مصلحة أو أية حسابات مادية يمكن أن يضحي بها مقابل محاولات طائشة لا جدوى منها(١١٦). ويستشهد جينو هنا بعقلانية ديكارت التي ليس لها مثيل من قبل.

---

(114) Réne Guénon: East and West P. 85.
(115) Ibid. P. 86.
(116) Ibid. P. 87.

وهنا يحذر الغرب من أن استمراره في عناده وتصلبه في تجاهل هذا الحدس العقلي أو إنكاره لن يكون بإستطاعتهم الحصول على أي تراث بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، ولن يكون بمقدورهم التوافق مع الممثلين الأصليين الحقيقيين للحضارات الشرقية التي يبدو فيها كل شيء معلقا على هذا الحدس الثابت والمعصوم بذاته والذي هو نقطة الإنطلاق الوحيدة لأي تطور يتناسب مع المعايير التراثية(١١٧).

أضف إلى ذلك، وبما أن الحضارة الغربية هى الأصغر سنًا على الإطلاق، فإن القواعد الأكثر أدبًا، إذا تم قبولها بوصفها صالحة في العلاقات بين الشعوب أو الأعراف كما هى بين الأفراد، يجب أن تكون كافية لإبراز الغرب، صحيح أن الغرب هو الذي ذهب بالفعل للبحث عن الشرق، لكن بنوايا مختلفة تمامًا، فليس الهدف الاستفادة منهم بالتعليم، ولكن السعي كان من أجل محاكاتهم لطريقة تفكيرهم. وقد رفض الشرقيون ذلك ورأوه خرقًا لقوانين الضيافة hospitality والمدنية الشرقية؛ لأنها تقضي من وجهة نظر جينو على العادات التي يحرص الغرب على الحفاظ عليها بوصفها تعكس حضارتهم التراثية، ويرى أن الغرب يتخفي وراء الابتكارات بوصفها الموضة، وهي لا ترقى إلا إلى مجرد محاكاة ساخرة. وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على الجهل وعدم الفهم، وهو دليل واضح على غياب العقلية(١١٨). ولهذا يرى أن الكثير من الحقائق التي يراها الغربيون دليلًا واضحًا على تفوقهم، هي بالنسبة للشرقيين تمثل الكثير من علامات الدونية.

(١١٧) رينيه جينو: أزمة العالم الحديث، ص٥٧- ٥٨.

(118) Réne Guénon: East and West, P. 86-87.

(ISSN: 2536 - 9555)

خاتمة

بعد أن عرضنا لموضوع مادية الغرب وعقلانية الشرق عند رينيه جينو تبين لنا أنه يحاول أن يجاري الشرقيين في أخذهم على الحضارة الغربية بأنها ليست سوى حضارة مادية تماما، وفي ضوء ذلك وصف جينو الحضارة الغربية بأنها حضارة كمية لا تهتم بنوعية المعارف المتراكمة لديها؛ وإنما تهتم بكميتها فقط، فأصبح نجاحها عابرًا لاعتمادها كليَّةً على المادة والثروة، ومن ثم كان انهيارها محتملًا؛ لأن هذا التقدم المادي قد رافقه تراجع فكري كبير، وعدم استمرارية هذه الحضارة وإمكانية انهيارها يكمن ـ في رأيه ـ في السرعة الجامحة التي تطيح بكل ما هو ثابت وكأنهم يشيدون البناء على ارض متحركة، فلن يصلوا إلى إتمام البناء حتى ينهار كل شيء، وقد اصبح الغرب يستمتع بالتغيير حبا في التغيير؛ ومن ثم فإنه يهدم نفسه بنفسه.

وقد اتسمت فلسفة جينو بمقابلته بين الشرق والغرب، والتي أكد من خلالها أهمية الشرق واصالته في الحضارة التي لها فضل على الغرب، وتبين لنا من خلال ذلك أن جينو يؤكد أن الغرب قد ضل طريقه وابتعد عن التراث وأن على الغرب أن يتهيأ للذهاب نحو الشرق ودراسة مذاهبه لإستعادة تقاليده ومكانته وحضارته الأصيلة، وفي ضوء ذلك أكد جينو دور النحبة الشرقية في مساعدة الغربيين على استعاده حضارتهم الأصيلة والعودة إلى التراث.

وقد أكد جينو إيمًّا تأكيد آثر الثقافة الإسلامية في الغرب، وان كان الغربيون لا يريدون أن يعترفوا في وضوح بفضل الشرق عليهم. وأكد جينو أن الشرقيين مُحِقُّون تماما في آخذهم على الحضارة الغربية بأنها ليست سوى حضارة كمية أو بمعنى آخر حضارة مادية، وأكد جينو هنا دور النخبة في الشرق في مساعدة الغرب لإستعادة تقاليده الأصيلة.

قائمة المراجع

أولًا: المراجع الأجنبية.

1- Harry old meadow: René Guénon http://www.scribd.com/document/3264760841Réne-Guuénon-H-old-meadow.pdf/5/8/2017
2- J. Evola: Réne Guénon (East and West), Vol. 4, No. 4 (January. 1964), PP. 255-258. http://www.jstor.org/stable/29158099
3- Kalin Ibrahim: Réne Gouénon (Abdel– Wahid Yahya) www.cis-ca.org/voics/9/guénon-mn.htm/15/8/2017
4- Paul chacornac: The simple life of Réne Guénon trans. Cecil Bet hell, Sophia perennis, 2001
5- Robin Waterfild: Réne Guénon and the future of the west the life and writings of a 20th century metaphysican sophia perennis Hillsdaleny, 2002.
6- Guénon quoited it from l'Avenir de la civilization, Revue universelle, March, 1922.
7- Réne Guénon: Fundamental symbols the universal language of sacred science, trans. Alvin Moore Jr., Revised and ed. Martin Lings, Quintaessentia, Combridge, 1995.
8- Réne Guénon: Spiritual authority and Temporal power, Trans., Henry D. Fohr, ed.Samuel D. Fohr, Sophia Perennis, 1929.
9- Réne Guénon: The Reign of Quantity and the signs of the times, trans lord Northbourne Sophia Perennis, Hillsdale NY, 2004.
10- Réne Guénon: East and West, trans., Martin Lings, Sophia perennis, 2004.

(ISSN: 2536 - 9555)

11- The Essential Réne Guénon (Metaphysics, Tradition, and The Crisis of Modernity), ed. John Herlihy, indroduction by Martin Lings, world wisdom, 2009.
12- Réne Gouénon: Biograpical information. http://www.réneguénon.Net/ingles/inglesguenon biografia/5/8/2017.
13- The Essential Ananda K. Coomarswamy Eastern Wisdom and western Knowledge, ed. Rama P. Coomaraswamy China, World Wisdom, 2004.

ثانيًا: المراجع العربية.

١-رينيو جينو: أزمة العالم الحديث، ترجمة عدنان نجيب الدين، وجمال عمار، سلسلة الدراسات الغربية، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ١٤٣٨هـ.

٢-زينب عبدالعزيز: مقالات من رينيه جينو، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣-عبدالحليم محمود: أوربا والإسلام، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٣م.

٤-ـــــــــــ: قضية التصوف (المدرسة الشاذلية)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥-محمد المنشاوي: فلسفة التصوف الإسلامي، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٨م.

٦-محمد كامل عبدالصمد: الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٥م.

٧-نجيب العفيفي: المستشرقون، ج١، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٠م.